اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال
تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
اللجنة التربوية

# المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام

الجزء الأول

# المفاهيم التربوية
# في
# أسـر الأنبيـاء

عليهم السلام

الجـزء الأول

رجـب ١٤٢٥ هـ
سبتمبر ٢٠٠٤ م

**دولة الكويت - الديوان الأميري - اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية**

**فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر**

المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام

ج ١ (٢٦٤ص) ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك مجموعة : ISBN : 99906 - 33 - 30 - 4

ردمك (ج ١) : ISBN : 99906 - 33 - 31 - 2

رقم الإيداع : Depository Number: 2004 / 00264

١ - المفاهيم التربوية . ٢ - أسر الأنبياء عليهم السلام .

**الطبعة الأولى**

**1425 هـ - 2004م**

# الفهـــرس


| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|
| الفهرس العام | ٣ |
| المقدمة | ١١ |
| المنهج المتبع في هذا الكتاب | ١٩ |
| المنهج ا لمتبع فيما يقال عند ذكر اسم الله تعالى ورسله الكرام | ٢١ |
| **الباب الأول : سيدنا آدم عليه السلام وأسرته** | ٢٧ |
| تمهيد | ٢٩ |
| **المبحث الأول : سيدنا آدم عليه السلام وزوجه** | ٣١ |
| آدم وزوجه في الجنة | ٣٣ |
| ابتلاء واختبار | ٣٤ |
| إغراء وإغواء | ٣٥ |
| سبب أكلهما من الشجرة | ٣٦ |
| عاقبة الأكل من الشجرة | ٣٨ |
| عتاب وتوبة | ٣٩ |
| إخراج آدم وزوجه من الجنة | ٤٠ |
| **المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة آدم عليه السلام** | ٤٣ |
| المفهوم الأول : تساوي المرأة والرجل في الإنسانية | ٤٥ |
| المفهوم الثاني : تربية الإرادة والتحرر من رغائب النفس | ٤٦ |
| المفهوم الثالث : ضعف النفس البشرية أمام المغريات | ٤٧ |
| عداوة الشيطان للإنسان ومقتضيات هذه العداوة | ٥٠ |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| وسائل الشيطان لإضلال الإنسان | ٥١ |
| كيفية الوقاية من الشيطان | ٥٤ |
| المفهوم الرابع : تربية النفس على النفور من الحرام والبعد عن مواطنه | ٥٧ |
| المفهوم الخامس : زلة آدم فتحت باب التوبة لأبنائه | ٥٩ |
| المفهوم السادس : قوة الارتباط بين الزوجين وتأثير وتأثر كل منهما بالآخر ، وانعكاس ذلك على الأسرة | ٦٢ |
| المفهوم السابع : فهم طبيعة المرأة واحتمال بعض تصرفاتها | ٦٢ |
| في التسامح بين الزوجين الخير الكثير | ٦٣ |
| المفهوم الثامن : خطر الإصغاء إلى التدخل الخارجي وأثره في إفساد الحياة الأسرية | ٦٤ |
| المفهوم التاسع : إسراع الزوجين في تدارك ما يقع من زلات تجاه الخالق عز وجل | ٦٤ |
| المفهوم العاشر : ستر العورة واتخاذ الزينة فطرة بشرية | ٦٤ |
| **المبحث الثالث : قصة ابني آدم عليه السلام قابيل وهابيل** | ٦٧ |
| تمهيد | ٦٩ |
| الشيطان يبدأ معركته مع أبناء آدم | ٧٠ |
| سبب الخلاف بين ابني آدم | ٧١ |
| حقد ينتهي بجريمة | ٧٣ |
| الغراب يعلم القاتل كيفية دفن الميت | ٧٦ |
| **المبحث الرابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة ابني آدم** | ٧٧ |
| المفهوم الأول : مشروعية التحكيم | ٧٩ |
| المفهوم الثاني : التقوى شرط لقبول الأعمال | ٨٠ |
| المفهوم الثالث : المؤمن يدفع السيئة بالحسنى | ٨٢ |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المفهوم الرابع : استفراغ بواعث الشر من قلب المعتدي | ٨٣ |
| المفهوم الخامس : الجريمة يسبقها عادة صراع نفسي فعلى المصلحين | ٨٥ |
| تنمية الجانب الإيماني تفاديا لوقوعها | ٨٥ |
| المفهوم السادس : الاهتمام بآثار الجريمة ونتائجها أولى من تفاصيلها | ٨٨ |
| المفهوم السابع : عاقبة الجريمة خسران وندم طويل | ٨٩ |
| المفهوم الثامن : خطورة الوساوس الشيطانية وكيفية الاحتراز منها | ٩٢ |
| المفهوم التاسع : الحسد داء عضال كان وراء أول جريمة قتل في الأرض | ٩٥ |
| تعريف الحسد | ٩٥ |
| أضرار الحسد | ٩٥ |
| اعتراض ورده | ٩٧ |
| النهي عن الحسد | ٩٨ |
| الوقـــايـة من الحـــســـد | ١٠٠ |
| المفهوم العاشر : المسلم يستفيد العلم ويستثير المعرفة من كل ما يحيط به | ١٠٢ |
| المفهوم الحادي عشر : حكمة الأب وأثرها في توجيه الأسرة | ١٠٣ |
| المفهوم الثاني عشر : الأسرة نموذج مصغر عن المجتمع فيتوقع من أفرادها النزاع والأثرة | ١٠٣ |
| **الباب الثاني : سيدنا نوح عليه السلام وأسرته** | ١٠٥ |
| تمهيد | ١٠٧ |
| **المبحث الأول : موقف أهله من دعوته** | ١١١ |
| موقف والدي نوح عليه السلام من دعوته | ١١٣ |
| زوجة نوح عليه السلام وموقفها من الدعوة | ١١٤ |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| ابن نوح وموقفه من دعوة أبيه | ١١٦ |
| مصير ابن نوح عليه السلام | ١١٧ |
| نداء نوح عليه السلام ربه في شأن ابنه | ١١٨ |
| شبهة وردها | ١١٨ |
| اعتذار سيدنا نوح عليه السلام لربه واستغفاره | ١٢٠ |
| المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة نوح عليه السلام | ١٢٣ |
| المفهوم الأول : المؤمن مبتلى على قدر إيمانه | ١٢٥ |
| المفهوم الثاني : الفوز والنجاة بالعمل الصالح لا بالقرابة والنسب | ١٢٥ |
| المفهوم الثالث : الوشيجة التي تجمع الناس هي العقيدة الإسلامية | ١٢٩ |
| المفهوم الرابع : دعوة الأبناء والأقارب إلى الله والصبر عليهم | ١٣٢ |
| المفهوم الخامس : وجوب اختيار الزوجات الصالحات | ١٣٢ |
| المفهوم السادس : التلطف في دعوة الأبناء ونصحهم وإظهار الرحمة والرأفة بهم | ١٣٣ |
| المفهوم السابع : من بر الوالدين الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة | ١٣٤ |
| المفهوم الثامن : في قصة نوح عليه السلام أسوة لمن لم يوفق بأبناء بررة | ١٣٧ |
| **الباب الثالث : سيدنا إبراهيم عليه السلام وأسرته** | ١٣٩ |
| تمهيد | ١٤١ |
| **المبحث الأول : دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه** | ١٤٣ |
| تلطف إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه إلى التوحيد | ١٤٦ |
| رَدُّ الأب آزر على ابنه إبراهيم عليه السلام | ١٤٧ |
| رَدّ إبراهيم عليه السلام على أبيه | ١٤٨ |
| **المبحث الثاني : سيدنا إسماعيل عليه السلام دعوة أبيه** | ١٥٥ |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| هجرة سيدنا إبراهيم بزوجه هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة | ١٥٨ |
| **المبحث الثالث : قصة الذبيح** | ١٦١ |
| لقاء الأب بابنه | ١٦٣ |
| رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل وإخباره بها | ١٦٣ |
| استسلام سيدنا إبراهيم عليه السلام لهذا الأمر | ١٦٤ |
| انقياد الإبن المطيع لأمر الله | ١٦٦ |
| تنفيذ الأمر الإلهي لما ورد في الرؤيا | ١٦٧ |
| شهبة وردها | ١٧٠ |
| **المبحث الرابع : زيارات سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهله بمكة وبناء الكعبة** | ١٧٣ |
| زيارة سيدنا إبراهيم عليه السلام لابنه وتفقد أهله | ١٧٥ |
| بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام الكعبة ومعاونة ابنه إسماعيل له | ١٧٧ |
| إتمام البناء والابتهاج به والدعاء | ١٨٠ |
| **المبحث الخامس : سيدنا إبراهيم عليه السلام والبشرى بإسحاق** | ١٨١ |
| الملائكة تبشر بإسحاق | ١٨٣ |
| موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من هذه البشارة | ١٨٤ |
| موقف السيدة سارة من البشارة | ١٨٧ |
| نبوة سيدنا إسحاق عليه السلام | ١٨٩ |
| **المبحث السادس : وصية سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبنائه** | ١٩١ |
| المقصود بالوصية | ١٩٣ |
| نص الوصية | ١٩٣ |
| **المبحث السابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام** | ١٩٧ |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المفهوم الأول : ينبغي للمربين والدعاة التزام الصدق والاستقامة . . . . . | ١٩٩ |
| المفهوم الثاني : الآباء والأمهات أحق الناس بالإخلاص في النصيحة . . . . . | ٢٠١ |
| المفهوم الثالث : اتباع اللطف واللين وحسن الأدب في الدعوة إلى الله . . . . . | ٢٠١ |
| المفهوم الرابع : استعمال الألفاظ المحببة إلى النفس في الدعوة إلى الله . . . . . | ٢٠٣ |
| المفهوم الخامس : الترفق والترقق في الدعوة . . . . . | ٢٠٤ |
| المفهوم السادس : أسلوب التدرج في الدعوة والنصح . . . . . | ٢٠٥ |
| المفهوم السابع : إظهار الشفقة والرحمة بالمدعوين . . . . . | ٢٠٧ |
| المفهوم الثامن : ينبغي الاهتمام بأمور الأهل الدينية أكثر من الاهتمام بأمورهم الدنيوية . . . . . | ٢١٠ |
| المفهوم التاسع : صدق الدعاة وثباتهم يجعل أرواحهم تسمو على آلام أجسادهم | ٢١٣ |
| المفهوم العاشر : سعادة الآباء والمجتمعات في النسل الصالح . . . . . | ٢١٣ |
| المفهوم الحادي عشر : الحلم من أشرف الصفات للأفراد وألزمها للدعاة . . . . . | ٢١٤ |
| المفهوم الثاني عشر : تقديم أمر الله تعالى على المصالح الدنيوية العاجلة . . . . . | ٢١٦ |
| المفهوم الثالث عشر : العبودية لله تقتضي التزام أمره والاعتماد عليه وحده . . . . | ٢١٧ |
| المفهوم الرابع عشر : امرأة مؤمنة تعلم الأجيال دروس الصبر والثبات والتوكل على الله . . . . . | ٢١٩ |
| المفهوم الخامس عشر : إقامة الصلاة محط اهتمام الأنبياء والصالحين . . . . . | ٢٢١ |
| المفهوم السادس عشر : استشارة الأبناء في الأمور المهمة . . . . . | ٢٢٣ |
| المفهوم السابع عشر : الإيمان الحق يقتضي الرضا بقضاء الله وقدره والتضحية بكل شيء من أجله . . . . . | ٢٢٤ |
| المفهوم الثامن عشر : التزام الأدب مع الله عز وجل وإرجاع كل شيء إلى مشيئته | ٢٢٦ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المفهوم التاسع عشر : الأشياء لاتؤثر بذاتها وإنما بإرادة الله عز وجل | ٢٢٨ |
| المفهوم العشرون : الابتلاء والاختبار سنة الله في عباده ليميز به الخبيث من الطيب | ٢٢٩ |
| المفهوم الحادي والعشرون : اهتمام الآباء بالأبناء ولو كانوا كبارا يشعرهم بالثقة ويحملهم على احترام آبائهم وقبول آرائهم | ٢٣٠ |
| المفهوم الثاني والعشرون : ينبغي للمربي الناجح أن يبدأ بنفسه ليكون قدوة لغيره | ٢٣٢ |
| المفهوم الثالث والعشرون : المؤمن يؤدي العمل الصالح وهو مشفق من التقصير فيه راغب إلى الله أن يتقبله | ٢٣٤ |
| المفهوم الرابع والعشرون : الاجتهاد والإخلاص في الدعاء وعدم تعجل الإجابة | ٢٣٦ |
| المفهوم الخامس والعشرون : الدعاء عبادة وأفضله ما دعا به الأنبياء عليهم السلام | ٢٣٨ |
| المفهوم السادس والعشرون : إكرام الضيف من خلق الأنبياء والصالحين | ٢٣٩ |
| المفهوم السابع والعشرون : من آداب الضيف أن يأكل ما قدم له | ٢٤٠ |
| **الباب الرابع : سيدنا لوط عليه السلام** | ٢٤١ |
| تمهيد | ٢٤٣ |
| **المبحث الأول : موقف زوجة نبي الله لوط عليه السلام من دعوته** | ٢٤٥ |
| امرأة لوط عليه السلام على دين قومها | ٢٤٧ |
| خيانة امرأة لوط عليه السلام | ٢٤٧ |
| **المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لوط عليه السلام** | ٢٤٩ |
| المفهوم الأول : المؤمن حسن الظن عف اللسان | ٢٥١ |
| المفهوم الثاني : الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا سبب الإيمان | ٢٥٢ |
| ثبت المراجع | ٢٥٤ |

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ «يوسف - ٣»

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ «يوسف - ١١»

# مقدمة

الأسرة مجتمع مصغر، وإحدى دعائم المجتمع الأكبر، وما الأمة إلا مجموعة من الأسر تترابط فيما بينها بمبادئ وقوانين، وأعراف وتقاليد، تتفاوت قيمتها وآثارها بين الأمم تبعاً لتفاوتهما في درجات الحضارة والبداوة، والتطور والجمود، وكلما كان الأساس قوياً كان أدعى لتماسك البناء، وصلاحيته للبقاء، فكلما كانت الأسرة قوية قائمة على الأسس الرشيدة، والدعائم الصالحة، كان صرح المجتمع بدوره قوياً حصيناً، باهر الأثر نحو الأسرة ذاتها، ونحو الإنسانية بأسرها: ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً** ﴾[1].

وإذا كانت الأسرة دعامة الأمة، فإن الزواج عماد الأسرة، به تنشأ وتتكون، وفي مهاده تحبو وتتطور، ومن غذائه الروحي والمادي تنمو وتتهذب، ومن دوحته الباسقة تتفتح براعم سلالة جديدة من البنين والبنات. تتدرج في المهد حينا، ثم تخرج إلى الحياة رويداً، لتؤدي رسالتها، وتتحمل مسئوليتها، وتأخذ نوبتها في طريق الآباء والأجداد.

ومن هذه البراعم الناشئة تتفرع أواصر القرابة والرحم، وتمتد هنا وهناك، لتظلل برواقها مجتمعاً فسيح الجوانب، متشابك المصالح.

ومن هنا تبدو أهمية الزواج في الأسرة، كما تبدو أهمية الأسرة للمجتمعات والأمم. والله تعالى يشير إلى تلك الحقائق، وينوه بما للزواج من

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٨ .

أثر في تكوين الأسرة، ثم في الانتشار والكثرة، ثم في الرحم والقرابة، ويقرن ذلك بالمسئولية الكبرى نحو المجتمع الأصغر، والمجتمع الأكبر وهي التقوى. وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[1].

وبناء على كل ما سبق كان نشوء الأسرة مصاحباً لوجود الإنسان من لدن - سيدنا آدم عليه السلام - لم يتخلف عنه ولم يتأخر، قال تعالى في قصة آدم في الآيات الأولى من سورة البقرة : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[2].

ولما كان الأنبياء والرسل ليسوا بدعاً من البشر، لذا فقد تزوجوا وكونوا أسراً عاشت مثل بقية الأسر، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً** ﴾[3].

وكان من أسر هؤلاء الأنبياء من كان صالحاً، ومنهم من كان طالحاً، ونظراً لأن القرآن الكريم نزل لبناء الإنسان الخير السوي، والذي يُشَيِّد الحضارة الندية الرخية، فقد ضم بين آياته الكثير مما يهذب الإنسان، ويقومه ويربيه تربية صحيحة سليمة قوية في جميع المجالات. مستخدماً في ذلك وسائل

---

(١) سورة النساء الآية : ١ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٥ .

(٣) سورة الرعد آية : ٣٨ .

كثيرة، منها ذِكْرُهُ لعدد من الرسل والأنبياء الكرام مع أسرهم، لنأخذ منها العبرة، ونستشف منها الموعظة، نتأدب ونتربى على مائدتها، ونربي غيرنا على موائد الخير والهدى والرشاد. فبين لنا حنين بعض الأنبياء إلى الولد، بل وطلبهم من ربهم ذلك، واستجابة الله عز وجل لهم.

وكشف لنا عمن يرى منهم أباه أو ابنه أو زوجه على خلاف ما يأمل ويرجو، فبدلاً من أن يكونوا مهتدين كريمي الخلال والخصال، إذ بهم منغمسين في أو حال الكفر والضلال، ومنتظمين في مسلك الضالين المضلين، فيهلكوا مع الهالكين. وكشف لنا عن التي حملت ابنها فلذة كبدها لتلقيه في اليم خوفا عليه من الهلاك، ثم رده الله إليها، وبعد حين يتحقق لها وعد الله، فيصير نبياً ورسولاً.

وعن هذا الذي يهم بذبح وحيده بيده تنفيذاً لأمر الله، فيفديه الله بذبح عظيم. وعن شعور الأبوة حين فَقَد أحب الأولاد سنين عددا، بسبب كيد الإخوة لأخيهم، ومؤامرتهم عليه، ثم شعور هذه الأبوة حين تجتمع الأسرة مرة ثانية بعد طول فراق.

وعن الآباء وهم ينصحون الأبناء والذرية بأعز وأغلى ماينصح الإنسان به غيره.

وعن استماع الأب لاقتراح ابنته، وأخذه بهذا الاقتراح، فكان خيراً وبركة. وعن الوالد الذي يجلس معه ابنه في مجلس الحكم والقضاء، ثم عن الابن وهو يركب متن مجدٍ مُؤَثَّلٍ لأبيه، ويزيد في عليائه وبنائه، حتى يتمتع بسلطان لم يؤت لأحد من بعده، وعمن يبر بوالديه، ومن يبر بأمه. كما كشف عن كل

الحالات التي تصاحب البشر، وتدوم مع الخليقة، ووضعت لها ضابطاً صحيحاً، ومنهجاً واضحاً ومريحاً، يركن الإنسان إليه، فيجد الخيرة فيه، لما فيه من حِكَمٍ وأحكام، وتعلم وإفهام.

لذا فما أن تنزلت هذه الأمور وغيرها في القرآن الكريم مع كر الليالي ومرور الأيام، حتى تشربتها قلوب أصحاب النبي ﷺ، فكانوا المثال الذي نال الرضا الإلهي، وثناء المؤمنين إلى يوم الدين[1].

فما أحوجنا نحن أمة سيدنا محمد ﷺ إلى النظر في كل هذا وغيره، نظر عبرة وعظة واعتبار للاستفادة بما فيه، فنعمل بعمل الصالحين، ونقتفي آثارهم، ونقتدي بهم، ونتجنب عمل الضالين المضلين، الخاسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، حتى ننال رضا الله عز وجل، ثم رضا رسوله ﷺ.

ولما كان الأمر كذلك فقد رأت اللجنة التربوية التابعة للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت. أن تقدم دراسة شاملة - بحيث تكون كتاباً مكوناً من عدة أجزاء - عما ورد في القرآن الكريم عن الأنبياء عليهم السلام وأسرهم الذين وردت قصصهم مفصلة، لاستخلاص بعض المفاهيم التربوية والأسرية، التي يستفيد منها المسلم في حياته.

---

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص ١٠، ١١ بتصرف.

لذلك فقد كلفت اللجنة التربوية الدكتور الفاضل «أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل» عضو فريق توثيق المفاهيم والمواقف التربوية في تراثنا الإسلامي والفكر التربوي المعاصر[1] بتقديم بحث يكون كتاباً مكوناً من عدة أجزاء، وقد قام جزاه الله خيراً باستيفاء المادة العلمية لهذا الكتاب، مراعياً الأهداف المرسومة لهذا الغرض، واستخلاص المفاهيم التربوية والأسرية وصياغتها، ثم أَسْنَد الفريق مهمة مراجعة هذا الكتاب إلى الدكتور الفاضل «عبدالله محمد حسن» عضو الفريق.

## مهمة الفريق التنفيذي للجنة التربوية

ومما يجدر ذكره أن الفريق التنفيذي للجنة التربوية قام - في الفترة الماضية - ببعض المهام التي اعتبرت بمثابة تمهيد لما قام به الأخ الباحث الآن، وكانت أبرز المهام التي أنجزها الفريق التنفيذي توطئة لما تم الآن هي:

- تحديد الإطار العام للكتاب من ناحية المقدمة - المحتوى العلمي (المتن) - التسلسل - النهاية - تعيين الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام، الذين وردت قصص أسرهم في القرآن الكريم، واستثناء ماعدا ذلك منهم. وبعد هذا التعيين قام الفريق برسم الخطوط العامة لكل قصة من هذه القصص، على أن يكون المصدر هو القرآن الكريم والتفاسير المعتمدة، والمصادر

---

(١) أعضاء الفريق هم : د. عبدالمحسن عبدالله الخرافي رئيساً
د. محمد المأمون محمد علي عضواً
د. عبدالله محمد حسن عضواً
د. أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل عضواً
أ. سامي محمد العسلاوي مقرراً

الموثقة، والحرص الكامل على تحاشي الإسرائيليات.

- متابعة ما يتم من كتابات وإجراء المراجعات الدورية حول المفاهيم التربوية، باعتبار أن المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء هي المعوّل الأكبر.
- اعتماد هيئة المخرج النهائي للكتاب بما يتفق والإصدارات السابقة والإشراف الكامل على طباعته.
- كان الفريق التنفيذي طيلة الفترة السابقة التي سبقت إخراج الكتاب على الصورة التي بين أيديكم الآن هو همزة الوصل بين اللجنة التربوية وبين الكاتب والمراجع والمطبعة. حتى ظهر والحمدلله بهذا الشكل الذي نرجو الله أن يكون عملاً نافعاً، ولبنة مهمة في بناء الأسرة الصالحة، ولاشك أن لكل عمل نقصاناً؛ لأن التمام والكمال لله عز وجل وحده، وهذا هو جهد المقل، ونسأل الله سبحانه وتعالى القبول والسداد، وأن يجزينا الأجرين إن شاء الله، وأن يثبتنا في الدنيا والآخرة، فله الحمد والمنة.

ولايفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لإخواني أعضاء الفريق الذين قدموا جهودهم وخبراتهم من أجل إخراج هذا الكتاب، وتقديمه إلى القراء بأفضل صورة ممكنة.

كما نشكر أيضاً أعضاء اللجنة التربوية في اللجنة الاستشارية العليا الذين ساندوا إصدار هذا الكتاب آملين أن يحقق أهدافه المنشودة.

والحمدلله رب العالمين

**د. عبدالمحسن عبدالله الخرافي**

**رئيس اللجنة التربوية**

**الفوائد والأهداف المرجوة من هذا الكتاب :**

١ - الإسهام في الاستفادة من قصص القرآن الكريم ودروسه وعظاته.

٢ - الإسهام في توجيه الأسر لاقتفاء سلوك الأنبياء عليهم السلام، وتربية الأبناء على المنهج الإسلامي الرشيد.

٣ - تقديم نماذج للدعاة تنير لهم الطريق في دعوتهم المسلمين وغير المسلمين.

٤ - حاجة المكتبة الإسلامية لأمثال هذه الدراسة لعدم توفر مثل هذه المادة في حدود علمنا.

## المنهج المتبع في هذا الكتاب

لما كان موضوع هذا الكتاب واسعاً غنياً بالمادة العلمية، والمواقف التربوية، فإنه من الممكن تناوله من عدة جوانب، ومن قبل عدة باحثين، ولكل طريقته في التناول، حسب الأهداف المرسومة، والأغراض المتوخاة؛ لذا رأينا أن نلتزم منهجاً يراعى فيه الاستفادة مما سبق من أبحاث، ويلاحظ فيه الخصوصية التي تميز بها هذا الكتاب، وفيما يلي توضيح لذلك.

١ - عرض القصة حسب الحدث التاريخي من خلال الآيات القرآنية، وإيضاحها بما يقتضيه الحال، من غير اختصار مخل، ولاتطويل يفقد القصة تناسقها.

٢ - استخلاص المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من القصة، وهي بمثابة الدروس والعبر التي من أجلها ورد سياق القصة.

٣ - قراءة كتب التفسير قراءة متفحصة لاستخلاص أرجح الأقوال ثم تدوينها بأسلوب سهل.

٤ - إيراد الأحاديث الصحيحة والحسنة حسب الحاجة، وتخريجها في الهامش تخريجاً مختصراً، الهدف منه توثيق النص بعزوها إلى مصادرها من كتب الحديث دون قصد الاستقصاء.

٥ - الاستفادة من المؤلفات القديمة والمعاصرة التي تناولت قصص القرآن الكريم بقدر الإمكان.

٦ - روعي أن يقال عند ذكر اسم الله «سبحانه وتعالى، أو عز وجل، أو تبارك وتعالى، أو ما أشبه ذلك»، وعند ذكر اسم نبينا محمد «صلى الله عليه

وسلم، أو عليه السلام»، وعند ذكر نبي من الأنبياء السابقين «عليه السلام»، وعند ذكر الصحابي «رضي الله عنه»، وعند ذكر أحد العلماء أو الصالحين «رحمه الله».

وهذا ما سلكه السلف وجماهير أهل العلم من هذه الأمة.

ولإتمام الفائدة في هذه المسألة نتناولها فيما يلي بشيء من التفصيل.

## المنهج المتبع فيما يقال عند ذكر اسم الله تعالى ورسله الكرام

تجري على ألسنة المسلمين عبارات مختلفة الصيغ عندما يذكر اسم الله عز وجل أو رسله الكرام، والهدف منها واحد، وهو: تنزيه الله سبحانه وتعالى، والثناء عليه بما يليق به جل جلاله، والدعاء للأنبياء عليهم السلام؛ لما ميزهم الله به من منزلة عالية، ولما بذلوه في سبيل نشر الرسالات السماوية، وتوطيد دعائم الحق، ونظراً لاختلاف عبارات الناس في هذه الصيغ، وكون الكلام عليها مبثوثاً في بطون المراجع، وقد يصعب على القارئ غير المتخصص أن يتتبعها أو يصل إليها؛ لذا رأينا أن نفردها ببحث خاص نلتزم به في هذا الكتاب إن شاء الله، وفيما يلي إيضاح لذلك.

قال الإمام النووي رحمه الله في مقدمة شرحه على صحيح مسلم: «يستحب لكاتب الحديث إذا مر بذكر الله عز وجل أن يكتب «عز وجل، أو تعالى، أو سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى، أو جل ذكره، أو تبارك اسمه، أو جلت عظمته، أو ما أشبه ذلك. كذلك يكتب عند ذكر النبي «صلى الله عليه وسلم» بكمالها لارامزاً إليها[1] ولا مقتصراً على أحدهما[2]، وكذلك يقول في الصحابي «رضي الله عنه» فإن كان صحابياً ابن صحابي قال «رضي الله عنهما». ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي ينقل منه، فإن هذا

(١) فلا ينبغي استخدام المختصرات المخلة مثل (ص) أو (صلعم).

(٢) أي لايقتصر على قوله «صلى الله على محمد» أو «السلام على محمد» وإنما يجمعهما معاً فيقول «صلى الله عليه وسلم».

ورأى النووي رحمه الله في هذه المسألة: أنه يكره إفراد الصلاة والتسليم، وقد خرج ابن حجر قول النووي على أنه خلاف الأولى.

بينما يرى الشيخ الطاهر بن عاشور أن ذلك جائز.

ليس رواية، وإنما هو دعاء، وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه، ولا يسأم من تَكَرُّرِ ذلك، ومن أغفل ذلك حُرِمَ خيراً عظيماً، وفوت فضلاً جسيماً»[1].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] الآية تضمنت الأمر بشيئين: الصلاة على النبي ﷺ، والتسليم عليه، ولم تقتض جمعهما في كلام واحد، وهما مفرقان في كلمات التشهد، فالمسلم مخير بين أن يقرن بين الصلاة والتسليم، بأن يقول: صلى الله على محمد، والسلام عليه، أو أن يقول: اللهم صل على محمد، والسلام على محمد، فيأتي في جانب التصلية بصيغة طلب ذلك من الله، وفي جانب التسليم بصيغة إنشاء السلام بمنزلة التحية له، وبين أن يفرد الصلاة ويفرد التسليم، وهو ظاهر الحديث الذي رواه عياض في الشفاء أن النبي ﷺ قال: لقيت جبريل فقال لي: أبشرك أن الله يقول: من سلّم عليك سلمت عليه، ومن صلى عليك صليت عليه. وعن النووي أنه قال بكراهة إفراد الصلاة والتسليم، وقال ابن حجر: لعله أراد خلاف الأولى. وفي الاعتذار والمعتذر عنه نظر إذ لادليل على ذلك» أ. هـ.

وقال أيضاً: وأما أن يقال: «اللهم سلم على محمد، فليس بوارد فيه مسند صحيح ولاحسن عن النبي ﷺ، ولم يرد عنه إلا بصيغة إنشاء السلام، مثل ما

---

(١) مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٨/١) ط دار المؤيد الرياض.

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٥٦ .

في التحية، ولكنهم تسامحوا في حالة الاقتران بين التصلية والتسليم فقالوا: «صلى الله عليه وسلم»، لقصد الاختصار فيما نرى. وقد استمر عليه عمل الناس من أهل العلم والفضل، وفي حديث أسماء بنت أبي بكر المتقدم أنها قالت: «صلى الله عليه وسلم». وقد استحسن أئمة السلف أن يجعل الدعاء بالصلاة مخصوصاً بالنبي ﷺ، وعن مالك لايصلى على غير نبينا من الأنبياء، يريد أن تلك هي السنة، وروي مثله عن ابن عباس، وروي عن عمر بن عبدالعزيز: أن الصلاة خاصة بالنبيين كلهم.

وأما التسليم في الغيبة فمقصور عليه وعلى الأنبياء والملائكة، لايشركهم فيه غيرهم من عباد الله الصالحين، لقوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[1] وقوله: ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾[2] و﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[3] و﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[4] وأنه يجوز إتباع آلهم وأصحابهم وصالحي المؤمنين إياهم في ذلك دون استقلال[5]. هذا الذي استقر عليه اصطلاح أهل السنة، ولم يقصدوا بذلك تحريماً، ولكنه اصطلاح وتمييز لمراتب رجال الدين، كما قصروا الرضى على الأصحاب وأئمة الدين، وقصروا كلمات الإجلال نحو: تبارك وتعالى وجلَّ جلاله على الخالق دون الأنبياء والرسل» أ. هـ[6].

(١) سورة الصافات الآية : ٧٩ .
(٢) سورة الصافات الآية : ١٣٠ .
(٣) سورة الصافات الآية : ١٢٠ .
(٤) سورة الصافات الآية : ١٠٩ .
(٥) وذلك مثل قولنا «صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم».
(٦) «التحرير والتنوير» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله (١٠٢/١١، ١٠٣) طبعة دار سحنون تونس.

وحاصل ذلك :

أن صيغة «صلى الله عليه وسلم، أو عليه الصلاة والسلام» تطلق على نبينا محمد ﷺ، ويجوز إطلاقها على باقي الأنبياء عليهم السلام؛ لأنها من باب الدعاء[1].

لكن المتتبع للأحاديث النبوية ولكتب العلم كافة يجد أنهم خصوا صيغة «صلى الله عليه وسلم، أو عليه الصلاة والسلام» بنبينا محمد ﷺ، ويندر إطلاقها على غيره من الأنبياء.

أما عند ذكر غيره من الأنبياء أو الملائكة فإنهم يقولون «عليه السلام» ويقولونها أيضاً عند ذكر نبينا عليه الصلاة والسلام.

وإليك طرفاً من ذلك مما ورد في كتب العلم.

**أولاً - في كتب الحديث :**

- روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام»[2].
- وفي البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه صلى

---

(١) جاء في «الموسوعة الفقهية» الصادرة عن وزارة الأوقاف بدولة الكويت: (ج٤٠/٤٧): «وأما الصلاة عليهم - أي على سائر الأنبياء - فلم يرد فيها بخصوصهم نص خاص يصح، ومن هنا ذهب مالك في قول ذكره صاحب الشفا، وبعض أصحاب مالك، أنه لاتُشرع الصلاة على أحد من الأنبياء غير محمد ﷺ، وأن الجمع بين الصلاة والتسليم من خصوصياته. ولكن قال جمهور العلماء بجواز الصلاة عليهم واستحبابها قياسا على الصلاة على محمد ﷺ، ولأن أكثرهم وهو من كان من ذرية إبراهيم عليه السلام يدخلون في الصلاة الإبراهيمية». انتهى.

(٢) البخاري - كتاب التهجد - الحديث (١١٣١).

صلاة فقال: «إن الشيطان عرض لي فَشَدّ علي ليقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فَذَعَتُّه[1] ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام (رب هب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي)»[2].

- وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران عليه السلام رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام مربوع الخلق»[3].
وكذلك هو عند ابن حبان[4].
- وفي الترمذي: «باب من سورة إبراهيم عليه السلام»[5].

**ثانياً - في كتب التفسير :**

- في الطبري: «فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم، وحسمه بتحويل قبلة نبيه والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم عليه السلام»[6].
- وفي ابن كثير: «فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام»[7].
- وفي القرطبي: «فقال أبوهما وهو شعيب عليه السلام هذا رجل جائع»[8].

---

(١) فذعته بالذال المعجمة أي : خنقته.
(٢) البخاري - كتاب العمل في الصلاة - الحديث (١٢١٠).
(٣) مسلم (٢/٣٩٨) الحديث (٤١٨).
(٤) ابن حبان (١٤/١١٨).
(٥) الترمذي (٥/٢٩٥).
(٦) تفسير الطبري (٢/٣١).
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٥١).
(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٣٩).

**ثالثاً - في كتب الفقه :**

- في أحكام القرآن «قال الشافعي رحمه الله: بدأ الله جل ثناؤه خلق آدم عليه السلام من ماء وطين....»[1].
- وفي المغني لابن قدامة: «بدليل أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ابنه الواحد فدي بكبش واحد»[2].

**رابعاً - في كتب العقائد :**

- «في الفصل في الملل» لابن حزم «وفاران بلاشك هي مكة، موضع مبعث محمد ﷺ، بيان ذلك أن إبراهيم عليه السلام أسكن إسماعيل فاران، ولاخلاف بين أحد في أنه إنما أسكنه مكة»[3].
- وفي شرح العقيدة الطحاوية «وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام»[4].

فهذه نقول متنوعة من كتب أهل العلم يظهر منها للمتتبع إطلاقهم صيغة «عليه السلام» على باقي الأنبياء، من أجل هذا آثرنا أن نقتدي بأهل العلم في اصطلاحهم. وفي الأمر سعة[5].

---

(١) أحكام القرآن (٨١/١).

(٢) المغني لابن قدامة (٤٠٩/٩).

(٣) الفصل في الملل (٩٠/١).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٥٧٠/١).

(٥) وقد استحسن بعضم عند ذكر أحد الأنبياء السابقين أن يقرنه مع نبينا، ثم يصلي ويسلم عليهما، فيقول مثلاً: «عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام». وهكذا مع باقي الأنبياء. انظر مثال ذلك في كتاب «العظمة» (١٦١٣/٥)، و«كشاف القناع» (١٤٢/٣) و«مواهب الجليل» (١١١/٣).

# الباب الأول
# سيدنا آدم عليه السلام وأسرته

- تمهيد.

- المبحث الأول سيدنا آدم عليه السلام وزوجه.

- المبحث الثاني المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة آدم.

- المبحث الثالث قصة ابني آدم قابيل وهابيل.

- المبحث الرابع المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة ابني آدم.

# تمهيد

آدم عليه السلام أول الأنبياء، والجد الأكبر للأسرة الإنسانية كلها، خلقه الله عز وجل من طين، ثم لما جف إلى حد أنه إذا نُقِرَ عليه سمع له صوت، غيره الله عز وجل طوراً بعد طور، ثم نفخ فيه من روحه، فإذا هو إنسان من لحم ودم وعصب، يتحرك بإرادته ويفكر، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ** ﴾(١). ويقول سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ(٣) مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ(٤)** ﴾(٥) ويقول عز وجل: ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾(٦). ثم لما أراد الله عز وجل أن تعمر الدنيا بالجنس البشري، ويجعل لآدم من يؤنسه من جنسه اتجهت قدرته عز وجل إلى خلق حواء، فخلقها سبحانه وتعالى من ضلع آدم عليه السلام، كما قال بذلك أكثر المفسرين، فقد قالوا: إن الله عز وجل أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر وَلَأَمَ مكانه لحما، وآدم نائم لم يستيقظ من نومه، حتى خلق الله عز وجل من ضلعه حواء ليسكن إليها. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾(٧)

---

(١) سورة ص آية : ٧١ .

(٢) صلصال: مأخوذ من الصلصلة، وهي الصوت، وهو الطين اليابس، لم تصبه النار، فإذا نقرته صَلَّ فسمعت له صلصلة.

(٣) حمأ: الحمأ طين تغير واسود من مجاورة الماء.

(٤) مسنون: مصور على صورة الوجه، أو مفرغ على هيئة إنسان.

(٥) سورة الحجر آية : ٢٦ .

(٦) سورة الرحمن آية : ١٤ .

(٧) سورة الأعراف آية ١٨٩ .

ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1] ويقول رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[2] وفي رواية: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تُقيمها كَسَرْتها وكَسْرُها طلاقها»[3].

---

(١) سورة الروم آية : ٢١ .

(٢) رواه البخاري في - أحاديث الأنبياء - الحديث (٣٣٣١)، ومسلم - في الرضاع - الحديث (٣٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم - في الرضاع - الحديث (٣٦٣١).

# المبحث الأول
# سيدنا آدم عليه السلام وزوجه في الجنة

# سيدنا آدم عليه السلام وزوجه في الجنة

## آدم وزوجه في الجنة :

أسكن الله عز وجل آدم وزوجه الجنة، وأباح لهما الأكل منها، من حيث شاءا، إلا من شجرة واحدة، عينها لهما، ونهاهما عن الأكل منها، قال تعالى: ﴿ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1] والنهي عن قرب الشيء أبلغ من النهي عنه، فهو يقتضي البعد عن موارد الشبهات التي تغري بالمنهي عنه، وتفضي إليه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ[2].

لكن إبليس اللعين كان لهما بالمرصاد، كيف لا وقد كان آدم عليه السلام السبب في طرده من الجنة، حينما أبى الانصياع لأمر الله والسجود لآدم، فكان لابد من أن يفكر ويطيل التفكير في وسيلة ينتقم بها لنفسه من هذا الذي عكر عليه صفوه، وكدّر عليه ورده، فلم يكد يطرده ربنا عز وجل من دار كرامته حتى طلب من الله جل جلاله أن يمهله ولايعجل به، وأن يجعل مدة إنظاره إلى يوم الدين. ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ** ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٩ .

(٢) تفسير المنار (٣٤٦/٨).

(٣) سورة الأعراف الآيات : ١٣-١٥ .

واستغل هذا اللعين وعد الله عز وجل، فهدد آدم وذريته، وتوعدهم بالقعود لهم في طرق الخير ليصرفهم عنها، ويزيغهم عن الحق الذي أمروا باتباعه ليضلوا السبيل، مستخدما في ذلك كل الوسائل التي تحقق له مراده، ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[1] وعزم إبليس اللعين على ما قاله عزما صارما، عند ذلك قال له ربه ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2]. وطرد إبليس اللعين من الجنة، وأُسكِنَ آدم الجنة، وحيث اختلف مقام كل منهما لايتصور العقل أن يكون الحرب من إبليس ضد آدم عليه السلام بشن الغارة، وإنما تكون حربا نفسية عن طريق بلبلة الخاطر، ووسوسة النفس.

**ابتلاء واختبار :**

أباح الله عز وجل لآدم وزوجه الأكل من الجنة حيث شاءا، ومن جميع الأشجار إلا شجرة واحدة نهاهما الله عز وجل عن الأكل منها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

(١) سورة الأعراف الآيتان : ١٦-١٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٣٥ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ١٩ .

وسبب نهي الله عز وجل آدم وحواء عن الأكل من هذه الشجرة هو الابتلاء والاختبار، والتدريب على ضبط النفس، وكفها عن المنهي عنه، فهو صورة مختصرة عن التكليف الذي خلقا من أجله، إذ جماع التكاليف الشرعية (افعل، ولاتفعل).

**إغراء وإغواء :**

لما رأى إبليس اللعين ما أنعم الله عز وجل به على آدم وزوجه حواء بالسكن في الجنة، حسدهما على ذلك، وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ماهما فيه من النعمة واللباس الحسن[1]، فوسوس إليهما بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عز وجل عن الأكل منها، وأغواهما بأنواع من المغريات، واستعان في ذلك بشيئين:

أولهما: أسلوب نفسي فقد جاءهما من جهة رغبتهما في الخلود، وحبهما للاستمرار في النعيم الذي هم فيه - لعلمه بطريقة ما أن الإنسان جبل على ذلك - فقال لهما: إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما ملكين، أو يجعلكما من الخالدين، فلايصيبكما الموت، ولايلحقكما الفناء. ومعلوم أن تحريك العوامل النفسية له أثره الفعال على سلوك الإنسان وتوجيه مسيرته بشكل لايتأتى بسهولة عن غير هذا الطريق.

ثانيهما: قسمه لهما برب العزة والجلال أنه ناصح أمين فيما يقوله لهما. ومازال إبليس بآدم وزوجه حتى انخدعا بقوله، فأكلا من الشجرة الممنوعة، ووقعا في الخطيئة. ناسين بذلك نهي الله عز وجل لهم عن الأكل من الشجرة.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٠٥).

وعن كل ما سبق يقول الله سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1] وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[2]. وعهد الله عز وجل إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة.

**سبب أكلهما من الشجرة :**

أكل آدم عليه السلام وزوجه من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها لما يلي:

أولاً: نسيانهما عهد الله عز وجل، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[3] أي: ولقد عهدنا إلى آدم أن لايقرب من الشجرة، فنسى هذا العهد أي هذا الأمر بأن لايقرب من الشجرة، ولم نجد له عزما أي: تصميما في حفظه للعهد الذي هو أمره بعدم الاقتراب من الشجرة، أي: بنهيه عن الأكل منها، ولو كان له التصميم على حفظ العهد لما أزله الشيطان، ولما استطاع أن يغره[4].

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠-٢٢ .

(٢، ٣) سورة طه الآية : ١١٥ .

(٤) تفسير القاسمي (١١/١٩٧).

وفي نسيان آدم لعهد الله - كما يقول الإمام الرازي رحمه الله - قولان:

أحدهما: ما هو نقيض الذكر، وإنما عوتب على ترك الحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان.

ثانيهما: المراد بالنسيان: الترك، وأنه عليه السلام ترك ما عهد إليه من الاحتراز من الشجرة والأكل من ثمرتها. «ولم نجد له عزما» أي: ولم نجد له عزما على التحفظ والاحتراز عن الغفلة[1].

ثانياً: أنه عليه السلام أكل منها متأولا وقاصدا الخير لأنه كما يقول ابن حزم - قدَّر أنه يزداد حظوة عند الله فيكون ملكا مقربا، أو خالدا فيما هو فيه أبدا، فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره الله به. وكان الواجب أن يحمل أمر ربه على ظاهره، لكن تأول وأراد الخير فلم يصبه[2].

ثالثاً: أن آدم عليه السلام - كما يقول ابن تيمية وجماعة من المتأخرين - لما قاسمه إبليس اللعين إنه ناصح، وأكد كلامه بأنواع من التأكيدات، أحدها القسم بالله، ولم يظن آدم أن أحدا يحلف بالله كذبا فظن صدقه، وأنه إن أكل من الشجرة المنهي عنها لن يخرج من الجنة، ورأى أن الأكل منها وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح، ولعله يتأتى له استدراك مفسدة الأكل في أثناء ذلك باعتذار أو توبة. كما نجد هذا التأويل في نفس كل من أقدم على المعصية[3].

---

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي (١٢٤/٢٢).

(٢) تفسير القاسمي (١٠٨/٢).

(٣) المرجع السابق (١٠٨/٢، ١٠٩).

رابعاً: أن إبليس اللعين أثار في نفس آدم بعض ما جبلت عليه من حُبّ بلوغ المراتب العالية، ومنها مرتبة الملكية، وحب الخلود فيما يكون فيه الإنسان من نعيم. فالعمر البشري محدود، والقوة البشرية محدودة، من هنا يتطلع الإنسان دائما إلى الحياة الطويلة، وإلى الملك الطويل، ومن هاتين النافذتين دخل الشيطان على آدم عليه السلام، وآدم مخلوق بفطرة البشر وضعفهم، لأمر مقدور، وحكمة مخبوءة، ومن ثم نسى العهد، وأقدم على المحظور هو وزوجه. وعن هذه المعاني يقول سبحانه وتعالى حكاية عما قاله إبليس لآدم وزوجه ﴿ **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾[1] ثم أردف هذا الادعاء بادعاء آخر مقرونا بالحلف بالله، ﴿ **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** ﴾[2]، فكان هذا كله مسهلا لوقوع آدم في نسيان ما عهده إليه ربه من عدم الأكل من الشجرة، ومن لزوم التصميم على رعاية هذا العهد، فوقع المحذور، وأكل هو وزوجه من الشجرة[3]. كما أشرنا من قبل.

**عاقبة الأكل من الشجرة :**

قال تعالى: ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[4].

---

(١)، (٢) سورة الأعراف الآيتان : (٢٠-٢١).

(٣) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة للدكتور عبدالكريم زيدان (٢١/١) بتصرف.

(٤) سورة الأعراف الآية : ٢٢ .

لما أكل آدم وحواء من الشجرة الممنوعة، أخذتهما العقوبة وعار المعصية، فتهافت عنهما اللباس، فظهرت لهما عوراتهما[1] فراحا يجمعان من ورق الجنة، ويشبكانه بعضه ببعض ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ ويضعان هذا الورق المشبك على سوآتهما ليستترا به مما يوحي بأنها العورات الجسدية التي يخجل الإنسان فطرة من تعريها، ولايتعرى ويتكشف إلا بفساد في هذه الفطرة من صنع الجاهلية! وفي صنيع آدم وحواء هذا أعنى سترهما عوراتهما يدل على أن ستر العورة كان من شريعة آدم عليه السلام، وقد استدل قوم بالآية السابقة على وجوب الستر، قال القاضي: وليس في الآية ما يوجب الوجوب، إذ ليس فيها أكثر من أن آدم وحواء فعلا ذلك، قال الأصم: وتدل - أي الآية - على أن الستر من خُلُق آدم وحواء، وأنهما كرها العري وإن لم يكن لهما ثالث، ففي ذلك دليل على قبح التعريّ إلا عند الحاجة[1].

**عتاب وتوبة :**

بعد أن أكل آدم وزوجه من الشجرة المحظورة وبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴿ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ معاتبا إياهما بقوله: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2]، وسمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية، وعلى إغفال النصيحة، فتكشف الجانب الآخر في طبيعة هذا الكائن المتفرد..إنه ينسى ويخطئ. إن فيه ضعفا يدخل منه الشيطان. إنه لايلتزم دائما ولايستقيم

---

(١) تفسير القاسمي (٢٦٤٢/٧).

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٢ .

دائمـا ... ولكنه يدرك خطأه، ويعـرف زلتـه، ويندم، ويطلب الْعَـوْنَ من ربه والمغفرة.. إنه يثوب ويتوب، ولايلح كالشيطان في المعصية، ولايكون طلبه من ربه هو العون على المعصيـة! ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[1] إنها خصيصة «الإنسان» التي تصله بربه، وتفتح له الأبواب إليه.. الاعتراف والندم والاستغفار، والشعور بالضعف، والاستعانة به، وطلب رحمته، مع اليقين بأنه لاحول له ولاقوة إلا بعون الله ورحمته، وإلا كان من الخاسرين[2].

ولما اعترف آدم وحواء بالذنب وندما عليه ولاما أنفسهما، وسارعا إلى التوبة، ولم يقنطا من رحمة ربهما، بل توجها له سبحانه وتعالى بقولهما له ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[3] تداركهما ربهما برحمته، وفتح لهما باب التوبة ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[4].

**إخراج آدم وزوجه من الجنة :**

بعد أن تاب الله عز وجل على آدم وزوجه أمرهما وإبليس بالهبوط جميعا إلى الأرض، لأنها المقر الطبيعي المناسب لحياة البشر، فإنهم خلقوا منها، فهي أمهم، وهي أصلهم، وقد قال تعالى: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا**

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٢٣ .

(٢) في ظلال القرآن (١٢٦٩/٣، ١٢٧٠)

(٣) سورة الأعراف الآية : ٢٣ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٣٧ .

﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1] فهبط الجميع إلى الأرض أعداء، يتوجس آدم وزوجته خيفة من غدر إبليس ومكره، وكيف لايخافان وقد خدعهما حتى أخرجهما من الجنة؟ ويتربص إبليس بآدم وزوجته وذريته يبغيهم الدوائر، فهل ينتظر على وجه الأرض سلام، وقد بدأت الحياة على ظهرها بهذا التوجس، وذلك التربص؟ لابد أن تكون الحياة على الأرض صراعا مستمرا بين الحق والباطل إلى أن تقوم الساعة، وذلك لأن بنى آدم باقون على ظهر الأرض إلى أن تقوم الساعة، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[2] وإبليس اللعين قد حصل على وعد من الله عز وجل أن ينظره إلى قيام الساعة، وهو - سبحانه وتعالى - لايخلف ما وعد - ثم أقسم اللعين بعزة الله عز وجل أنه سوف يغوي ذرية آدم أجمعين، إلا عباد الله المخلصين، فتوعده الله عز وجل هو ومن اتبعه بجهنم، وفي ذلك يقول سبحانه حكاية عما قاله إبليس اللعين، ومارد الله عز وجل به عليه؛ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3] فعلى آدم وذريته إذاً أن يستعدوا لمواجهة ضارية

---

(١) سورة طه الآية : ٥٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٥ .

(٣) سورة (ص) الآيات : ٧٧-٨٥ .

بينهم وبين الشيطان، (يخوضونها على علم، والعاقبة مكشوفة لهم في وعد الله الصادق الواضح المبين، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم بعد هذا البيان، وقد شاءت رحمة الله ألا يدعهم جاهلين، ولاغافلين فأرسل إليهم المنذرين)[1].

(١) في ظلال القرآن (٥/٣٠٢٩).

# المبحث الثاني
# المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة آدم عليه السلام

## المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

## من قصة آدم عليه السلام

### المفهوم الأول : تساوي المرأة والرجل في الإنسانية

إن خَلْقَ حواء على الصورة المتقدمة في القصة السابقة يُبْرز لنا أمرين:

أولاً: تساوي المرأة والرجل في الإنسانية، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[1]، وتساويهما في أخوة النسب البشري، فالمرأة أخت الرجل؛ لأنها تنتسب وإياه إلى أب واحد وأم واحدة لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[2]، فهو سبحانه ينادي الجميع بكلمة (الناس) تلك الكلمة التي تشتمل على أفراد الإنسان كافة، رجالاً ونساء، وهو بهذا يقرر أخوة النسب بين الرجل والمرأة إذ خلقهما من ذكر وأنثى، فكل منهما شقيق الآخر، ورسول الله ﷺ يؤكد هذا بقوله (النساء شقائق الرجال)[3]، وهذه الأخوة تقتضي مساواة المرأة للرجل في النسبة إلى الأبوين، لاتزيد فيها عنه ولاتنقص[4]، كما تقتضي مساواتها للرجل في أصل الكرامة الإنسانية التي بينها الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[5].

---

(١) سورة النساء جزء من الآية : ١ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في الطهارة الحديث (١١٣)، وأبو داود في الطهارة الحديث (٢٣٦)، والإمام أحمد (٦/٢٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) حقوق المرأة في الإسلام القسم الأول للدكتورة سعاد إبراهيم صالح ص٢٧ .

(٥) سورة الإسراء جزء من الآية : ٧٠ .

ثانياً: تتبوأ المرأة في الإسلام والمجتمع الإسلامي مكانة عالية، تحفظ لها كرامتها وإنسانيتها، وتصون عفافها لأنها خلقت من الرجل. وخلقها نعمة ينبغي أن يحمد الرجال ربهم عليها. كما ينبغي عليهم أن يصونوها ويحافظوا عليها. ولايعرضوها للإيذاء، لأن إيذاءها إجرام يمقت الله صاحبه قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾[2].

**المفهوم الثاني : تربية الإرادة والتحرر من رغائب النفس**

إن عهد الله عز وجل إلى آدم عليه السلام أن يأكل من كل ثمار الجنة سوى شجرة واحدة يمثل المحظور الذي لابد منه لتربية الإرادة، وتأكيد الشخصية، والتحرر من رغائب النفس وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عندما تريد، فلا تستعبدها الرغائب، ولاتقهرها، وهذا هو المقياس الذي لايخطيء في قياس الرقي البشري، فكلما كانت النفس أقدر على ضبط رغائبها والتحكم فيها والاستعلاء عليها كانت أعلى في سلم الرقي البشري، وكلما ضعفت أمام الرغبة وتهاوت كانت أقرب إلى البهيمية، وإلى المدارج الأولى، من أجل ذلك شاءت العناية الإلهية التي ترعى هذا الكائن الإنساني أن تُعِدّه لخلافة الأرض باختبار إرادته، وتنبيه قوة المقاومة فيه، وفتح عينيه على ما ينتظره من صراع بين إرادته وعهده لربه،

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٨ .

(٢) سورة البروج الآية : ١٠ .

والرغائب التي يزينها الشيطان، وها هي ذي التجربة الأولى تعلن نتيجتها الأولى ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[1] أي نسي آدم عهده، وضعف أمام الغواية[2].

**المفهوم الثالث : ضعف النفس البشرية أمام المغريات**

أباح الله عز وجل لآدم وزوجه الأكل من الجنة حيث شاءا، ومن جميع الأشجار إلا شجرة واحدة نهاهما الله سبحانه عن الأكل منها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

وسبب نهي الله عز وجل آدم وحواء عن الأكل من هذه الشجرة هو الابتلاء منه سبحانه؛ ليكشف بذلك عن أشياء مهمة:

أولها: حقيقة ضعف النفس الإنسانية أمام المغريات والممنوعات.

وثانيها: إبراز طبيعة الحرص والطمع في بني آدم، وإلا فما سبب أمره سبحانه وتعالى آدم وزوجه بالابتعاد عن الأكل من شجرة واحدة بعينها، وإباحته لهما كل ماعداها من أشجار الجنة التي لايحصيها عد، ولاتنحصر في لون أو

---

(١) سورة طه جزء من الآية : ١١٥ .

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٣٥٣، ٢٣٥٤).

(٣) سورة البقرة الآية : ٣٥ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ١٩ .

طعم، لقد كان فيما أبيح لهما من نعيم الجنة ومتعها ما يغني عن تطلع النفس إلى ما سواه، ولكنها الطبيعة البشرية التي أراد الله عز وجل أن يظهرها في صورتها الحقيقية لأمرين مهمين:

الأول : ليكون ذلك سببا لأن يأمر الله تعالى آدم وزوجته بالهبوط إلى الأرض ليعمراها حيث هي مستقرهما كما أخبر الله سبحانه وتعالى.

والثاني: لينكشف ما في نفس الإنسان من الضعف والحرص، فيسهل حينئذ معالجتها من أدوائها، ومما لاخلاف عليه بين ذوي البصيرة والمعرفة أن الشيء إذا ظل مجهولا يصعب التعرف عليه، فإذا عرفت حقيقته سهل تفحصه، وأمكن وضع الحلول لمشكلاته. واختراع الدواء لعلاته.

لقد كان ذلك الاختبار السريع لأبي البشر آدم عليه السلام حدثا مهما في تاريخ البشرية السحيق الموغل في أعماق الماضي البعيد، حيث كشف عما تنطوي عليه النفوس الآدمية من الغرائز التي أضحت فيما بعد ميدان بحث لعلماء النفس والاجتماع، أخذوا يصولون ويجولون فيه، فاكتشفوا الغرائز والعواطف، وصنفوها بحسب تأثيرها في النفس والمجتمع قوة وضعفا، وأوجدوا الصلة الوثيقة بين هذه الغرائز، وتلك العواطف، وبين الانفعالات التي تصدر عن الإنسان، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك على أنه حقيقة ينبغي أن يعرفها الإنسان، بقدر ما ينبغي أن يعرف ردود فعلها على سلوكه وتأثيرها على اتجاهاته.

كما أشار إلى أن الانفعالات النفسية، والغرائز العاطفية من أكبر العوامل المؤثرة في سلوك الإنسان، بل هي من أعظم الموجهات لمسيرة الإنسان، فإن

كانت موحية بخير فإلى الخير تهديه، والعكس بالعكس[1]، وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾[2].

ثالثها: وليكشف عن حقيقة علاقة إبليس بالإنسان، فهو عدو دائم للإنسان، أخذ العهد على إضلاله وإغوائه، وبدأ بالوسوسة لآدم للبرهنة على قدرته بأمر من الله عز وجل على الإغواء للبشر، لذلك فإن الله عز وجل حذرنا من شَرِّه، ومن شَرِّ ذريته، لأنهم هم الأعداء الذين تمكنت العداوة في نفوسهم، حتى جعلتهم يدأبون على تقوية دواعي الشر والباطل في نفوس الإنسانية، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[3]. ومما يزيد في خطورة هذه العداوة أن هؤلاء الشياطين أعطاهم الله عز وجل القدرة على الالتصاق بالإنسان، ونفث وساوسهم في قلبه، قال ﷺ «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[4] كما أنه يرانا هو وقبيله من حيث لانراهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾[5].

---

(١) نظرات في أحسن القصص د. محمد السيد الوكيل ص٢٥، ٢٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٠ .

(٣) سور البقرة الآية : ١٦٨-١٦٩ .

(٤) أخرجه البخاري في - كتاب الاعتكاف - الحديث (٢٠٣٨)، ومسلم في - كتاب السلام الحديث (٥٦٤٣)، وأبو داود في - كتاب الصيام - الحديث (٢٤٧٠).

(٥) سورة الأعراف الآية : ٢٧ .

**عداوة الشيطان للإنسان ومقتضيات هذه العداوة :**

ومن لوازم أو مقتضيات عداوة الشيطان الثابتة لنا أن نَحْذَرَهُ، لأن العدو يُحْذَرُ، ولايؤمَنُ شَرُّه، ولايُطْمَأَنُّ له، لأنه يريد الإضرار والإيذاء بمن يعاديه، وهذا مايريده الشيطان بعداوته للإنسان، والإضرار الذي يريده الشيطان بالإنسان هو إضلاله وتحريفه عن الدين الحق - الإسلام - وعن طاعة الله، ولافعل أقبح ولا أضر بالإنسان من الحيلولة بينه وبين طاعة الله[1]. هذا وإن عداوة الشيطان ظاهرة بينة، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ **إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: «أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبره تعالى حق وصدق، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أظهر وأبان عداوته من زمن آدم عليه السلام، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله بالحذر منه، فقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[3] وهذا غاية في التحذير من هذا العدو المبين»[4].

والمقصود بالحذر من الشيطان الاحتراس، والاتقاء من شروره باليقظة

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/١٤١).

(٢) سورة البقرة جزء من الآية : ١٦٨ .

(٣) سورة فاطر آية : ٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٩).

الدائمة، والاحتراز عن الأسباب التي تحقق غرضه في الضلال والإغواء[1].

**وسائل الشيطان لإضلال الإنسان :**

يستخدم الشيطان وسائل عدة لإضلال الإنسان من أهمها مايلي:-

١ - تزيين العمل الباطل في عين الإنسان، حتى يراه حسناً جميلاً مقبولاً عنده، وهو في الحقيقة قبيح وباطل ومخالف للشرع، فيدفعه - أي الشيطان - بهذا التزيين إلى فعل هذا العمل الباطل إن كان متردداً في فعله، وإلى الثبات والاستمرار عليه إن كان متلبساً به ويفعله. وقد بين لنا القرآن الكريم هذا الأسلوب من الشيطان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[2] أي: زين وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملونه من الشرك والمعاندة والمعاصي[3].

٢ - ومن تزيين الشيطان للإنسان تزيينه له البدع في الدين حتى يعمل بها، ويدعو إليها، ويثبت عليها، وفي هذا ضلال للإنسان، وخطر عظيم عليه، لأن الإنسان بهذا الابتداع يسد على نفسه باب التوبة، لأن من مقدمات التوبة ولوازمها أن يعرف من يريد التوبة أنه يعصي الله ويخالف الشرع في عمله، فيتوب من ذلك، والمبتدع يعتقد أنه على حق، ويعبد الله في بدعته، ولايخالف الشرع فيها، فكيف يتوب؟ ولهذا قال مَنْ قال من أهل العلم: البدعة شر من المعصية. ويريد بقوله هذا: أن العاصي يرجى له التوبة؛ لأنه

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة للدكتور عبدالكريم زيدان (٤٦/١).

(٢) سورة الأنعام الآية : ٤٣ .

(٣) تفسير القاسمي (٥٢٧/٦).

يعرف من نفسه أنه يعصي الله، والمأمول من المسلم أن يقلع عن معصيته، ويتوب إلى الله، أما المبتدع فإنه لايرى نفسه يعصي الله في بدعته، فلايتوب منها[1]. وأيضا فإن المبتدعين ينالهم شيء من معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[2] قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: «وهي عامة في كل من عَبَد الله تعالى على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ وعمله مردود»[3].

٣ - تخويف الشيطان للمؤمن بالفقر حتى لاينفق من ماله في وجوه الخير، قال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4]. فالشيطان يخيل للمؤمن بوسوسته أن الإنفاق في سبيل الله يذهب المال، ويفضي إلى سوء الحال، فلابد من إمساكه، والحرص عليه خوفا من طروء الحاجات في المستقبل[5]. لكنه من الواجب على المؤمن أن لايستمع لوساوس الشيطان، ولاينساق خلفه، كما أنه من الواجب عليه أن يتذكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

---

(١) المستفاد من قصص القرآن (٥١/١).

(٢) سورة الكهف الآيتان : ١٠٣-١٠٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٧/٣).

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٦٨ .

(٥) تفسير المنار (٧٤/٣).

٤ - من وسائل كيد الشيطان للإنسان تخويفه للمؤمنين بأوليائه، بأن يلقي في قلوبهم الخوف من أنصاره وأتباعه وأحبائه، فيمنع المؤمنين ويثبطهم عن القيام بواجب الشرع نحوهم، كواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يمنعهم من مواجهتهم ودفع اعتدائهم، فيقع المؤمنون في رذيلة الجبن، والتقصير في حق الشرع، قال تعالى عن ذلك: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[1] أي: يخوفكم بأوليائه أو من أوليائه[2]، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، فإذا فعل ذلك فلا تخافوهم، وتوكلوا عليّ، والتجئوا إليّ، فإني كافيكم وناصركم عليهم، وخافوني في مخالفة أمري إن كنتم مؤمنين[3].

٥ - إيحاء الشيطان للإنسان بالأماني الكاذبة التي يقذفها في قلبه، والأماني التي يمنى الشيطانُ الإنْسانَ بها متنوعة ومختلفة باختلاف الأشخاص والأحوال، قال الإمام القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا** ﴾[4] وهذا لاينحصر بواحدة من الأماني، لأن الشيطان يمني كل إنسان بنوع من الأماني، وبقدر رغبته فيما يهواه[5]. فالذي يغريه بالقمار يمنيه بالثروة والغنى، والذي يغريه بالزنا يمنيه بالتوبة مستقبلاً، وهكذا، فهو يمني ويعد

(١) سورة آل عمران الآية : ١٧٥ .

(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٣١).

(٤) سورة النساء آية : ١١٩ .

(٥) تفسير القرطبي (٥/٣٨٩).

وعوداً باطلة، قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾[1]. أي: يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وأنهم على خير كثير، وقد كذب عدو الله وافترى في ذلك، فوعوده باطلة، وأمانيه كاذبة، ولذلك فهي لاتفيد الإنسان إلا غرورا، والغرور: هو مايُرى له من ظاهر محبوب، ولكنه فيه باطل مكروه، أو هو أن يظن الإنسان بالشيء أنه نافع ولذيذ، ثم يتبين اشتماله على أعظم الآلام والمضار، فيعظم تأذيه عند انكشاف الحال فيه[2].

## كيفية الوقاية من الشيطان

للوقاية من الشيطان وكيده ووساوسه وسائل كثيرة من أهمها مايلي:

١ - الإيمان بالله عز وجل والتوكل عليه، فالمؤمن بالله المتوكل عليه سبحانه لاسبيل للشيطان إليه، لأنه في حمى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[5].

٢ - ترك المعاصي، فالمعاصي تجعل الإنسان ضعيفا، وبالتالي يستطيع

---

(١) سورة النساء آية : ١٢٠ .

(٢) التفسير الكبير للرازي (٤٨/١١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٩/٥) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٥٦/١) وتفسير القاسمي (٤٨٤/٥) بتصرف.

(٣) سورة الإسراء آية : ٦٥ .

(٤) سورة النحل آية : ٩٩ .

(٥) سورة الحجر آية : ٤٢ .

الشيطان أن يتسلل إليه وهو في هذه الحالة بالإغواء والخداع، فيجره من معصية إلى أخرى، وهكذا حتى يصبح العاصي ولياً للشيطان، أما إذا ابتعد الإنسان عن المعاصي والشهوات فإن ذلك يعطيه قوة ومنعة تحصنه من الشيطان وكيده، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[3] وقال تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾[4].

٣ - الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها. فيجب على المسلم أن لايغتر بالحياة الدنيا وزينتها، ولاينخدع بما فيها من متع زائلة، بل يزهد فيها، ويعلم علم اليقين أن متاعها بالنسبة لما في الآخرة من نعيم ليس إلا شيئاً قليلاً، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾[6] وقال تعالى:﴿ **فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾[7]

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٢ .

(٢) سورة النحل آية : ١٠٠ .

(٣) سورة فاطر آية : ٦ .

(٤) سورة ص آية : ٨٢-٨٣ .

(٥) سورة فاطر آية : ٥ .

(٦) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

(٧) سورة التوبة آية : ٣٨ .

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2] أي: أفلا تعقل أيها الإنسان أن النعيم الباقي وهو ماعند الله خير من النعيم الفاني الذي يؤتاه الإنسان في الدنيا؟ وبالتالي فإن العاقل لايرضى أن يكون نعيم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة، وإنما يؤثره عليه من لايؤمن باليوم الآخر[3].

٤ - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم - يجب على المسلم أن يستعيذ ويستجير بالله عز وجل من الشيطان الرجيم، وأن يلجأ إلى الله عز وجل في كل أموره وأحواله، كي تكون له حصانة بالله من الشيطان الرجيم، ووسوسته وتسلطه، وليكن دائما على ذكر بالله عز وجل كي يندحر عنه الشيطان، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾[5].

٥ - الدفع بالتي هي أحسن، والعفو عن المسيء، ومخاطبة الناس بأحسن الكلام، والإعراض عن الجاهلين.

(١) سورة النحل آية : ٩٦ .

(٢) سورة القصص آية : ٦٠

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٢/١٣) وتفسير القرآن العظيم (٣٥٦/٣) وتفسير المنار (٤٩٥/٨).

(٤) سورة فصلت آية : ٣٦ .

(٥) سورة الأعراف الآيات ٢٠١-٢٠٢ .

فإذا فعل المسلم هذه الأمور فإنه يدفع كيد الشيطان، ويصيبه في مقتل، ويحبط وساوسه الدنيئة. قال تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾[3].

٦ - وأخيراً فإنه من الواجب على المسلم أن يكشف خواطر الشيطان ووساوسه ثم يزنها بميزان الشرع الحنيف كي لاينخدع بها، ولا يتابع فيها الشيطان.

**المفهوم الرابع : تربية النفس على النفور من الحرام والبعد عن مواطنه :**

فقوله تعالى لآدم وحواء: ﴿ **وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[4] هو تدريب للنفس، وتربية لها على مبدأ البعد عن موارد الشبهات، وعدم الاقتراب من محيطها خشية أن تضعف النفس أمام إغراء الشيطان أو إلحاح الغرائز فتقع في المحظور، ويرسم النبي ﷺ لذلك صورة محسة معهودة في قوله: «إن الحلال بَيِّنٌ وإن الحرام بَيِّنٌ وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه،

(١) سورة الأعراف آية : ١٩٩ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٥٣ .

(٣) سورة فصلت الآيتان : ٣٤، ٣٥ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٣٥ .

ألا وإن لكل ملك حِمىً، ألا وإن حِمَى الله محارمه»[1].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة، وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فَمَثَّلَ لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفاذّة فتقع فيه بغير اختياره، أو يمحل المكان الذي هو فيه، ويقع الخصب في الحمى، فلايملك نفسه أن يقع فيه. فالله سبحانه وتعالى هو الملك حقاً، وحماه محارمه»[2].

وهذا المفهوم أكده القرآن الكريم في أكثر من موضع، حتى غدا قاعدة راسخة ينبغي استحضارها عند كل ممنوع شرعي. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[5]، وقال: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ**

(١) رواه البخاري في - الإيمان - الحديث (٥٢)، ومسلم في - المساقاة - الحديث (٤٠٧٠) واللفظ له، والترمذي في - البيوع - الحديث (١٢٠٥) وأبو داود في - البيوع الحديث (٣٣٢٩)، والنسائي في - البيوع - الحديث (١٧٦٤٥) وابن ماجه في - الفتن - الحديث (٣٩٨٢).

(٢) فتح الباري (١/ ١٧٠).

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٧ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٢٢ .

(٥) سورة الأنعام الآية : ١٥١ .

﴿إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[2]، واستنتج العلماء من ذلك قاعدة عظيمة تعرف «بسد الذرائع» وهي «حسم مادة وسائل الفساد دفعاً لها إذا كان الفعل السالم من المفسدة وسيلة إلى المفسدة»[3].

وبهذا أخذ المتقون أنفسهم فأبعدوها عن مواطن الحرام خشية الوقوع فيه، بل إن كثيراً منهم ترك بعض الحلال خشية أن يغريه بالحرام. قال الحسن رحمه الله : «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام»[4]، وري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها»[5].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «تمام التقوى أن يَتَّقِي اللّهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً حجاباً بينه وبين الحرام»[6].

**المفهوم الخامس : زلة آدم فتحت باب التوبة لأبنائه**

كانت زلة آدم عليه السلام حين خالف أمر الله هو وزوجه بأكلهما من الشجرة خيراً وبركة على ذريتهما، فقد فتح الله عز وجل بسببها أبواب رحمته،

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٣٢ .

(٣) حاشية العطار على جمع الجوامع (١٩٨/٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (٧٤/١).

(٥) المرجع السابق.

(٦) جامع العلوم والحكم (٧٤/١).

وعلمهم كيف يتخلصون من آثار الأوزار إذا وقعت منهم، فكانت التوبة تجاه المعصية، تقف لهم بالمرصاد، فتمحوها محواً لايدع لها أثراً حسياً أو نفسياً، إذ من المعلوم أن الذنوب والمعاصي تنقضي، ولكنها تترك بصماتها على حياة الإنسان النفسية، وتظل تطارده وتلاحقه حتى يصل إلى أحد أمرين: فإما أن يكررها حتى يستمرئها، وتصبح عادة له لايشعر معها بألم، ولايحس عند ارتكابها بوخز الضمير، وتلك هي حالة الران الذي تَسْوَدّ بسببه القلوب وتظلم، فلا تعرف معروفاً ولاتنكر منكراً، وذلك هو قول الله تعالى: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1]. وإما أن تشعر بغفران الذنب والعفو عنه من القادر على غفرانه الذي يملك وحده العفو عن المسيئين، فإن الشعور بغفران الذنب والعفو عنه يمنح الإنسان القدرة على تجاوزه، ويمكنه من نسيانه، حيث يشعر بأنه لن يحاسب عليه، ولن يسأل عنه، وذلك لايتحقق إلا بالتوبة التي منَّ الله عز وجل على آدم عليه السلام بها، ومنحها هبة منه لذريته من بعده.

لم تكن إذاً زلة آدم عليه السلام سبباً لشقاء ذريته وتعاستهم، ولم تكن السبب في حرمانهم من الخلود، فهم في الحقيقة لم يخلقوا ليقضوا حياتهم في الجنة، وإنما خلقوا ليعمروا الأرض كما قرر القرآن الكريم ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[2].

ولقد كانت تلك الزلة هي السبب الذي فتح لهم على أثره باب التوبة

---

(١) سورة المطففين آية : ١٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

والاستغفار، وكان ذلك وسيلتهم للخلود الحقيقي في جنات نعيم[1].

**المبادرة بالتوبة والاستغفار:**

فعلى المسلم إذا وقع في المعصية أن يبادر بالتوبة والاستغفار عقبها مباشرة - كما فعل سيدنا آدم عليه السلام- دون إبطاء - لأن الإبطاء في التوبة يؤدي إلى تمكن الذنب في القلب، والتمكن للذنب في القلب يؤدي إلى قسوة فيه، وجرأة على ارتكاب ذنب آخر، وفي الحديث «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[2] وقال ﷺ «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3] وقال الحسن البصري: الرَّيْنُ هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت[4]، وإذا وصل الإنسان إلى هذا الحد، فإنه لايستطيع التوبة حتى لو أرادها، لأنه لم يعد يندم على معصية فعلها، أو متلبس بها، وليست له قدرة على الإقلاع عنها حالاً، ولاعزم لديه على عدم العود إليها مستقبلاً، وهذه الثلاثة هي أركان أو عناصر التوبة، فكيف يمكنه أن يتوب[5].

---

(١) نظرات في أحسن القصص للدكتور محمد السيد الوكيل (٣٣، ٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي في - البر والصلة - الحديث (١٩٨٧)، والدارمي في - الرقاق - الحديث (٢٧٨٩)، وأحمد (١٥٣/٥)، والحاكم في المستدرك (١٢١/١)، الحديث (١٧٨).

(٣) سورة المطففين الآية : ١٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٨٥/٤).

(٥) المستفاد من قصص القرآن (٣٢/١، ٣٣) .

**المفهوم السادس : قوة الارتباط بين الزوجين، وتأثير وتأثر كل منهما بالآخر، وانعكاس ذلك على الأسرة**

فكون المرأة خلقت من ضلَع آدم كما أشار إليه القرآن الكريم، وكما صرحت به السنة النبوية، فإن ذلك يدل على قوة ارتباط المرأة بالرجل، والإسلام ينظر إلى هذا الارتباط نظرة واقعية ويجعله إيجابياً عن طريق الزواج وبناء الأسرة، وبارك هذا الارتباط فجعله ميثاقاً غليظاً. قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[1] والميثاق الغليظ هو ميثاق النكاح.

**المفهوم السابع : فهم طبيعة المرأة واحتمال بعض تصرفاتها**

وفي كون المرأة خلقت من ضلع، والضلع فيه اعوجاج ولن يستقيم، وإذا قُوِّمَ كُسِر، فيه إشارة إلى أنه ينبغي على الزوج أن يحتمل من زوجته بعض شؤونها وتصرفاتها؛ لأن أصل خلقتها مبنية على ذلك، وهي حكمة إلهية بالغة؛ لأن دورها في الأسرة لايكون صالحاً ولايؤتي ثمرته المرجوة إلا على هذه الخلقة، فعلى الزوج أن يراعي هذه الحكمة الإلهية، وجاء الحديث صريحاً في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء»[2].

---

(١) سورة النساء الآية : ٢١ .

(٢) رواه البخاري في - أحاديث الأنبياء - الحديث (٣٣٣١) ومسلم في - الرضاع - الحديث (٣٦٤٤) من حديث أبي هريرة.

وفي الرواية الأخرى بين عليه الصلاة والسلام أن الإصرار على تقويمها عن أصل خلقتها سينتهي بطلاقها، وهذا حال النساء جميعاً، فقال ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»[1].

## في التسامح بين الزوجين الخير الكثير:

وينبه القرآن الكريم الزوج الذي وكل إليه أمر إدارة الأسرة أنه قد يبدر من الزوجة بعض ما يكره، فيرشده إلى التحلي بالصبر والتسامح والعشرة بالمعروف، فما يدريه أن هذا الذي يكرهه كان فيه الخير والبركة، فيقول تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[2]. وإلى هذا يشير النبي ﷺ أيضاً بقوله: «لايَفْرَكُ[3] مؤمن مؤمنة، إن كره منهاخلقاً رضي منها آخر»[4].

ومما لاشك فيه أن هذا كله في الطبائع والأخلاق التي لاتعلق لها بالتكاليف الشرعية، أما إن كانت من قبيل المعاصي والمخالفات الشرعية فهذه لايجوز التغاضي عنها، ولكن بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) رواه مسلم في - الرضاع - الحديث (٣٦٤٣).

(٢) سورة النساء الآية : ١٩ .

(٣) يَفْرَك: بفتح الياء والراء وإسكان الفاء بينهما. قال أهل اللغة: فَرِكه بكسر الراء يَفْرَ كُه بفتحها، إذا أبغضه، والفَرْك. بفتح الفاء وإسكان الراء: البغض. ا. هـ. شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٣٠٠

(٤) رواه مسلم في - النكاح - الحديث (٣٦٣٣) .

**المفهوم الثامن : خطر الإصغاء إلى التدخل الخارجي وأثره في إفساد الحياة الأسرية**

ففي إصغاء آدم وحواء إلى إبليس واستجابتهما لإغوائه كان الندم الذي لم يمكن تدارك آثاره، وكان فيه فراق النعيم الدائم، لذا ينبغي أن تحاط الحياة الأسرية بسياج حصين ضد التدخل الخارجي بكل أشكاله وصوره.

**المفهوم التاسع : إسراع الزوجين في تدارك ما يقع من زلات تجاه الخالق عز وجل :**

في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[1] إرشاد إلى إسراع الزوجين في تدارك ما يقع من زلّات تجاه الخالق عز وجل، ومساعدة بعضهما بعضاً في ذلك، وفي هذا من الإعانة والتوفيق والسداد ما فيه، وهو أولى من تدخل الغير لتنبيههما وإصلاح مافسد من جوانب الأسرة، أو التقصير في جنب الله، فالإصلاح الذاتي هو الأنجع والأولى في حياة الأسر.

**المفهوم العاشر : ستر العورة واتخاذ الزينة فطرة بشرية :**

وفي قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾[2] إشارة إلى أن كشف العورة مستهجن عند كل ذي عقل سوي وفطرة سليمة، وأنها لاتكشف إلا للضرورة التي لابد منها، وأن الأصل في البشر اتخاذ اللباس والزينة، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٣٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٢ .

﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1] وفي الآية دلالة على أن من اللباس ما يكون لستر العورة، ومنه ما يكون زائداً على ذلك للزينة، «فالريش هو لباس الزينة الزائد على ما يستر العورة، وهو مستعار من ريش الطائر لأنه زينته»[2]، «ولما كان إلهام الله عز وجل آدم عليه السلام أن يستر نفسه بورق الجنة منَّة عليه، وقد تقلدها بنوه، خوطب الناس بشمول هذه المنّة لهم بعنوان يدل على أنها مِنَّةٌ مُوَرَّثَة، وهي أوقع وأدعى للشكر. ولذلك سَمَّى تيسير اللباس لهم وإلهامهم إياه إنزالاً لقصد تشريف هذا المظهر، وهو أول مظاهر الحضارة»[3] وجعله الله من مظاهر الطاعة فقال عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[4]، والزينة بين الزوجين آكد، وقد وردت أحاديث كثيرة تحض الزوجة على التزين لزوجها، وأن لاتقع عينه منها على ما يكره. قال ﷺ: «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته»[5].

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٢٦ .

(٢) التحرير والتنوير (٨/٧٥).

(٣) التحرير والتنوير (٨/٧٣).

(٤) سورة الأعراف الآية : ٣١ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (١/٥٦٧) الحديث (١٤٨٧) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وأبوداود (٢/٢٦) الحديث (١٦٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٨٣) الحديث (٧٠٢٤).

# المبحث الثالث
# قصة ابني آدم عليه السلام
# قـابيـل وهـابيـل

# قصة ابني آدم عليه السلام قابيل وهابيل

## تمهيد

عاش آدم مع زوجته حواء في الأرض بعد قبول الله عز وجل توبتهما، وقد عزما على أن ينأيا عن وساوس الشيطان، خاصة وأن الشيطان قد أخرجهما من الجنة، وأخذ على نفسه عهداً أمام الله - بعدما رفض السجود لآدم - أن يبذل كل جهده في إغواء بني آدم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾[1].

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى أخبر آدم وبنيه بعداوة الشيطان لهم، وحذرهم من هذه العداوة، فقال سبحانه: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[2]. كما أمرهم سبحانه وتعالى أن يتخذوا الشيطان عدواً لهم، ويحذروا وساوسه ونزعاته، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[3]. كما عزما على أن يبذلا المودة والمحبة والرحمة.

ومارسا حياتهما التي قدرها الله عز وجل لهما، ولكي تعمر الأرض بعدهما وينجبا ذرية تتكون منها الأمم والشعوب المختلفة، تغشى آدم زوجه

(١) سورة الأعراف الآيتان : ١٦، ١٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٧ .

(٣) سورة فاطر الآية : ٦ .

حواء، فحملت حملها الأول، فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[1].

ثم وضعت حواء وضعها فإذا هو توأماً ذكراً وأنثى، ثم توالى الحمل وتوالت الولادات، وكان لايولد لهما مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، (جعل افتراق البطون بمنزلة افتراق النسب للضرورة إذ ذاك) حتى ولد له ابنان يقال لهما هابيل وقابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وهابيل صاحب ضرع، - أي: كان الأول حراثا، وكان الأخر يشتغل بالرعي. وكان قابيل أكبر الأخوين[2].

**الشيطان يبدأ معركته مع أبناء آدم :**

مارس الشيطان وظيفته الشيطانية ضد أولاد آدم، ووسوس لأحدهم، فزين له المنكر والعصيان. ونجح الشيطان في إغواء هذا الابن، فاستحوذ عليه واستماله إلى صفه، وأوقعه في الشر، حيث ارتكب جريمة قتل أخيه[3]. وتحكي الآيات التالية قصة ذلك الابن الضال، وتخبرنا بجريمته البشعة التي ارتكبها بإيحاء وتوجيه من الشيطان. قال الله تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ**

(١) سورة الأعراف الآية : ١٨٩ .

(٢) تفسير الصاوي على الجلالين (٢٤٢/١) وتفسير القرآن العظيم (٤١/٢)، وروح المعاني (١١١/٦).

(٣) مع قصص السابقين في القرآن دروس في الإيمان والدعوة والجهاد للدكتور صلاح الخالدي (٨٩/٣).

آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

**سبب الخلاف بين ابني آدم :**

والآيات الكريمة تشير إلى أن ابني آدم قربا قرباناً، وسبب تقديم هذا القربان منهما (وردت فيه روايات غريبة لايمكن أن يعرف مثلها إلا بوحي من الله. وهي لم تُرْوَ عن أحد من رسل الله، لذا فإننا نعرض عن هذه الروايات لأنها لاتصح، ولاتفيد، ووصف ما قصه الله تعالى بالحق، يشعر بأن ما يلوكه الناس في ذلك مما سواه باطل)[2].

ونؤثر أن نستبقي القصة كما وردت في الآيات السابقة مجملة بدون تحديد. لأن الروايات الواردة فيها كلها موضع شك في أنها مأخوذة عن أهل الكتاب[3].

والذي نستطيع قوله في هذا المجال أن الأخوين اختلفا على أمر لاندري

(١) سورة المائدة الآيات : ٢٧ - ٣١ .

(٢) تفسير المنار (٦/٣٤١).

(٣) في ظلال القرآن (٢/٨٧٥).

ماهو - واحتكما إلى أبيهما آدم عليه السلام، فطلب من كل منهما أن يقدم قربانا إلى الله. فمن كان الحق معه، تقبل الله قربانه، وما على الآخر في هذه الحالة إلا أن يتراجع عن موقفه، لأنه ليس على الحق.

والقربان هو شيء خاص - لاندري ما هو، ولانملك تحديده - يقربه كل منهما إلى الله، قد يكون طعاماً أو شراباً أو متاعاً، وقد يكون حيواناً أو زرعاً، وقد يكون غير ذلك.

المهم قربا قرباناً، فَتُقُبِّل من أحدهما، ولم يُتَقَبَّل من الأخر. ولاندري كيف تقبل الله القربان، بل إن القرآن الكريم يدعونا إلى عدم البحث في كيفية تقبل القربان، لأن البحث في ذلك لافائدة منه، ولاثمرة له. ولانملك الأداة التي نبحث فيه من خلالها، فيكون البحث مضيعة للوقت، وإنفاقاً للجهد العقلي فيما لاخير فيه. قال شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ** ﴾: والفعل مبني للمجهول، ليشير بناؤه هكذا إلى أن أمر القبول أو عدمه موكول إلى قوة غيبية، وإلى كيفية غيبية...وهذه الصياغة تفيدنا أمرين: الأول: ألا نبحث نحن عن كيفية هذا التقبل ولانخوض فيه كما خاضت كتب التفسير في روايات نرجح أنها مأخوذة عن أساطير العهد القديم.

والثاني: الإيحاء بأن الذي قبل قربانه لاجريرة له توجب الحفيظة عليه، وتبييت قتله، فالأمر لم يكن له يد فيه، وإنما تولته قوة غيبية بكيفية غيبية، تعلو على إدراك كليهما وعلى مشيئته. فما كان هناك مبرر ليحنق الأخ على أخيه، وليجيش خاطر القتل في نفسه! فخاطر القتل هو أبعد ما يرد على

النفس المستقيمة في هذا المجال...مجال العبادة والتقرب، ومجال القدرة الغيبية الخفية التي لادخل لإرادة أخيه في مجالها[1].

**حقد ينتهي بجريمة :**

تمكن الشر من قلب الأخ الحاقد الذي لم يقبل الله قربانه - على أخيه - الذي تقبل الله عز وجل منه قربانه - واستحوذ عليه الشيطان، فأغلق قلبه عن الاستجابة للحق، أو الرجوع للصواب. ولذلك جعله يفكر في قتل أخيه، بل ويعزم عزماً أكيدا على ذلك، ويصمم على تنفيذ هذه الجريمة البشعة التي تعد أول جريمة قتل وقعت في حياة البشرية - وأعلن هذا الحاقد المارق عن عزمه وتصميمه هذا بقوله لأخيه ﴿ **لأَقْتُلَنَّكَ** ﴾. (وهكذا يبدو هذا القول - بهذا التأكيد المنبئ عن الإصرار - نابياً مثيراً للاستنكار؛ لأنه ينبعث من غير موجب، اللهم إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر، شعور الحسد الأعمى، الذي لايعمر نفساً طيبة)[2].

**موقف الأخ المؤمن من تهديد أخيه :**

لما سمع هابيل تهديد أخيه له بالقتل، وعزمه على ذلك أجابه بما أخبرنا به الله عز وجل عنه ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾[3] هكذا يقول الأخ المؤمن في براءة ترد الأمر إلى وضعه الأصلي، وفي إيمان

---

(١) في ظلال القرآن (٢/٨٧٥، ٨٧٦).

(٢) المرجع السابق (٢/٨٧٦).

(٣) سورة الأعراف الآيتان : ٢٧ - ٢٨ .

يدرك أسباب القبول، وفي توجيه رقيق للمعتدي أن يتقي الله، وهداية له إلى الطريق الذي يؤدي إلى القبول، وتعريض لطيف به لايصرح بما يخدشه أو يستثيره.

ثم يمضي الأخ المؤمن التقي الوديع المسالم يكسر من شره الشر الهائج في نفس أخيه الشرير، فيبين لأخيه الشرير أنه لانية عنده في قتله إذا أراد هو قتله، لأنه يخاف الله رب العالمين، وهكذا يرتسم نموذج من الوداعة والسلام والتقوى، في أشد المواقف استجاشة للضمير الإنساني، وحماسة للمعتدى عليه ضد المعتدي، وإعجاباً بهدوئه واطمئنانه أمام نذر الاعتداء، وتقوى قلبه وخوفه من رب العالمين.

ولقد كان في هذا القول اللين ما يفثأ الحقد، ويهدئ الحسد، ويسكن الشر، ويمسح على الأعصاب المهتاجة، ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة، وبشاشة الإيمان، وحساسية التقوى.

أجل. لقد كان في ذلك كفاية ... ولكن الأخ الصالح يضيف إلى النذير والتحذير: ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** ﴾[1] إذا أنت مددت يدك إليَّ لتقتلني، فليس من شأني ولامن طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك. فهذا الخاطر - خاطر القتل - لايدور بنفسي أصلاً، ولايتجه إليه تفكيري إطلاقاً .. خوفاً من الله رب العالمين.. لاعجزا عن إتيانه .. وأنا تاركك تحمل إثم قتلي وتضيفه إلى إثمك الذي جعل الله لايتقبل منك قربانك، فيكون إثمك مضاعفاً، وعذابك

(١) سورة الأعراف الآية : ٢٩ .

مضاعفاً.. ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ وبذلك صور له إشفاقه هو من جريمة القتل، ليثنيه عما تراوده به نفسه، وليخجله من هذا الذي تحدثه به نفسه تجاه أخ مسالم وديع تقي.

وعرض له وزر جريمة القتل لينفره منه، ويزين له الخلاص من الإثم المضاعف، بالخوف من الله رب العالمين، وبلغ من هذا وذلك أقصى ما يبلغه إنسان في صرف الشر ودوافعه عن قلب إنسان[1].

**موقف الأخ المجرم من وعظ أخيه :**

وبعد هذا الموقف الكريم من هابيل - المؤمن - تجاه أخيه قابيل الذي أعلن كلمة مدوية إلى قيام الساعة «لأقتلنك» وبعد هذا الوعظ البليغ - من هابيل - الذي يثير في النفس معاني الإيمان والتقوى، والخوف من الله عز وجل، ومن عقابه في الآخرة، كما يثير فيها عاطفة الأخوة النسبية، والشفقة على هذا الأخ الناصح الأمين النبيل الذي يرفض مقابلة السيئة بالسيئة، ولو كانت إرادة قتله، والذي يعفو ويصفح ويتسامح، كان من الواجب على الأخ الحاسد المارق عن دين الله الذي انعدمت عنه صفتي الإيمان والتقوى. نقول : كان من الواجب عليه أن يستجيب لداعي الخير، وللوازع الديني، وللفطرة السليمة التي فطر الله عز وجل الناس عليها، لكنه بدلا من ذلك ﴿ طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2]. أي: حَسَّنَتْ وسولت له نفسه وشجعته على قتل أخيه فقتله ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ في

---

(١) في ظلال القرآن (٢/٨٧٦).

(٢) سورة المائدة الآية : ٣٠ .

الدنيا والآخرة[1].

**الغراب يعلم القاتل كيفية دفن الميت :**

لما قتل قابيل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً وبدون وجه حق، وقف عاجزاً أمام هذه الجريمة البشعة - وهو الباطش القاتل الفاتك - لايدري كيف يواري سوأة أخيه. فبعث الله عز وجل له غراباً ليُرِيَهُ كيف يدفن أخاه، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** ﴾[2].

تقول الروايات إن الغراب، قتل غرابا آخر، أو وجد جثة غراب، أو جاء ومعه جثة غراب، فجعل يحفر في الأرض، ثم واراه وأهال عليه التراب، فقال القاتل قولته، وفعل مثلما رأى الغراب يفعل.

وبعد هذا الذي وقع أصبح قابيل من النادمين على قتل أخيه، لأنه لم ينتفع بقتله، وسخط عليه بسبب ذلك أبواه وإخوته، فكان ندمه لأجل هذه الأسباب لا لكونه معصية، فلم يكن ندمه توبة، فلم ينفعه ندمه[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٥).

(٢) سورة المائدة الآية : ٣١ .

(٣) تفسير الفخر الرازي (١١/٢٠٩، ٢١٠).

# المبحث الرابع
# المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة ابني آدم

## المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة ابني آدم

### المفهوم الأول : مشروعية التحكيم

يستوحى من إشارة آدم عليه السلام على الأخوين المختلفين أن يقربا إلى الله قرباناً يستوحى من ذلك مبدأ التحكيم الذي أصبح من المبادئ المعمول بها الآن في المنظمات الدولية المختلفة، والتي على أساسها تنظم العلاقات الدولية حتى تقل احتمالات الصراعات الدموية، وتنص عليه عدة من المواثيق الدولية ترجع بدايتها إلى نهاية القرن التاسع عشر، إن التحكيم - والذي هو عبارة عن دخول طرف ثالث للتوسط بين متخاصمين لحل النزاع الناشب بينهما والحكم في قضيتهما - الذي يعتبره الكتاب الغربيون من مستحدثات العصر الحديث، ومن ابتداع الحضارة الغربية قد نشأ عند حدوث الخلاف بين قابيل وهابيل، وأشار به آدم عليه السلام عليهما لحسم الخلاف الذي نشب بينهما. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، بل وحث على الأخذ به منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ولكن أكثر الناس لايعلمون.

حقيقة إن آدم عليه السلام لم يحكم بين المتخاصمين مباشرة، لكنه اقترح عليهما تقديم قربان، وهذا نوع غير مباشر من أسلوب الوساطة بين المتخاصمين، فوساطة آدم تمثلت في إقناعهما بقبول فكرة القربان. وفي حالة التحكيم إذا قبله الطرفان يدلي كل منهما بوجهة نظره في الخلاف أو النزاع، ويتقدم بالحجج التي تدعم وجهة النظر هذه، حتى يتسنى لِلْحَكَمِ أن يَصِلَ إلى قَرَارٍ مُدَعَّمٍ بالأسانيد، وخالٍ من التَّحَيُّزِ أو الهوى.

والتحكيم يمكن أن يكون على مستوى الأفراد، بمثل ما يكون على مستوى الدول. ويضرب لنا القرآن الكريم مثلاً رائعاً عن الحالة الأولى فيقول: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا** ﴾[1] أي: فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما (أي حال الزوجين) لتبيين الأمر أو إصلاح ذات البين رجلاً وسيطاً يصلح للحكومة والإصلاح[2].

وما يشير إليه القرآن الكريم عن التحكيم في حالة الخلاف بين الزوجين يمكن أن يستخدم أيضاً لتسوية المنازعات بين فئات اجتماعية مختلفة.

كما يمكن أن يستخدم كذلك لتسوية المنازعات بين الدول، حتى لاتحدث مصادمات بينها تؤدي في النهاية إلى قيام الحروب التي لايعلم نتيجتها إلا الله عز وجل وحده.

**المفهوم الثاني : التقوى شرط لقبول الأعمال**

قال الأخ المؤمن الذي تُقُبِّل قربانه مجيباً أخاه المتوعد الهائج: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾، فالتقوى شرط لقبول الأعمال عند الله سبحانه، والإيمان أساس لاعتمادها ورجاء الانتفاع بها؛ وذلك لأن الأعمال لاتراد لذاتها، فلا نفع فيها عندما تكون مجردة من معناها، منقطعة عن حياتها.

فكما أن الثمرة لاتنتج إلا على شجرة؛ فإن الأعمال لاتكون صالحة

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٥ .

(٢) تفسير البيضاوي ص ١١١ .

صحيحة صادقة مقبولة عند الله إلا إذا كانت منبثقة عن الإيمان، وناتجة عن التقوى.

والله عز وجل لايريد الأعمال الصالحة من العباد مجردة، وإنما يريد أثرها في نفوس أصحابها، يريد قلوبهم ومشاعرهم، وتربيتهم وتقويمهم من خلال الأعمال، إن المهم هو حصول المؤمن على التقوى، وسيطرة هذه التقوى على كل حياته ووجوده ومشاعره وأحاسيسه ووجدانه. ولعل في القرآن الكريم والسنة الشريفة نماذج كثيرة تدل على ما ذكرناه، فمن القرآن الكريم قوله تعالى مبينا الحكمة من ذبح الهَدْي والأضاحي: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1]. ومن السنة قوله ﷺ: «إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2].

والأعمال الصادرة من غير المؤمنين، والناتجة عن غير التقوى لايقبلها الله عز وجل، لأنها ليست لها أساس ولاقواعد ثابتة، قال عز من قائل: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً** ﴾[3].

---

(١) سورة الحج الآيتان : ٣٦، ٣٧ .

(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة - الحديث (٢٥٦٤).

(٣) سورة الفرقان الآية : ٢٣ .

**المفهوم الثالث : المؤمن يدفع السيئة بالحسنى**

ينبغي على المؤمن ألاَّ يرد على تهديد أخيه بتهديد مثل تهديده، كما ينبغي عليه ألا يقابل السيئة بمثلها، ولايتصرف بجهل يفوق جهل خصمه، بل ينبغي عليه أن يكون رده رقيقاً لطيفاً وادعاً، وأن يرد السيئة بالحسنة، والفجور بالإيمان، وأن يتعالى على الباطل والشر، وأن يكون أكبر من الجاهل الجهول، وصدق الله إذ يقول: ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1].

وينبغي أن يكون الباعث على التحلي بكل ما سبق هو الخوف من الله رب العالمين. هذا الخوف النابع من الإيمان الصادق. ومن مراقبة الله عز وجل، ومن الرغبة في نيل ثوابه سبحانه وتعالى. والحرص على مرضاته.

وهذا الخوف من الله سبحانه النابع من الإيمان به هو صمام الأمان في حياة الأفراد والجماعات، وهو الحارس القوي، والمانع الأمين الذي يمنعهم من الظلم والاعتداء على الآخرين، وبذلك يعم الأمن والأمان والاستقرار والسلام في المجتمعات. لذلك فإنه يجب على المربين والمفكرين والآباء والأمهات أن ينشئوا النشء والأفراد على الخوف من الله عز وجل، ومراقبته سبحانه وتعالى، والحرص على مرضاته لنيل ثوابه، وتجنب عقابه، كي يتمسكوا بالحق، ويبتعدوا عن الباطل.

---

(١) سورة فصلت الآيتان : ٣٤، ٣٥ .

**المفهوم الرابع : استفراغ بواعث الشر من قلب المعتدي**

ينبغي على المؤمن تجاه من يرغب في الاعتداء عليه من المؤمنين أن يُليِّن قلبه، وأن يستجيش معاني الأخوة والسماحة في نفسه، وأن يزيل وساوس الشيطان عنه، وأن يقضي على نزعات الاعتداء عنده، كما فعل ابن آدم المؤمن مع أخيه الذي قال له ﴿ **لَأَقْتُلَنَّكَ** ﴾ وبهذا أمر النبي ﷺ الصائم فقال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولايسخب، فإن سابّه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم»[1]. كما ينبغي عليه أن يستخدم جميع الوسائل المتاحة الحسنة في دفع الاعتداء، وإثناء المعتدي عما ينوي أن يفعله، التزاماً بقوله تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[2]. ولكن عليه أن يحافظ على حياته بكل السبل، وبشتى الطرق، حتى لايكون معرضها للتهلكة، التزاما بقوله سبحانه ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[3]، لكنه في الوقت نفسه لايلجأ إلى القتل، لتحذير الرسول ﷺ المسلمين من ذلك في قوله «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[4]. أما إذا حاول غير المؤمن الاعتداء على المؤمنين والنيل منهم، ومحاربتهم وقتلهم، فيستخدم المؤمنون أيضاً كل الوسائل المتاحة لتفويت الفرصة على هذا المعتدي، فإذا لم يُجْدِ ذلك

(١) أخرجه البخاري في - الصوم - الحديث (١٩٠٤)، ومسلم في - الصيام - الحديث (٢٧٠٠)، والنسائي في - الصيام - الحديث (٢٢١٥).

(٢) سورة فصلت الآية : ٣٤ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٥ .

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له، في - الإيمان - الحديث (٣١) ومسلم في - الفتن - الحديث (٧١٨١).

فعليهم دفع الشر بما يناسبه، حتى لايكونوا عرضة للظلم والاضطهاد والاعتداء من الآخرين، وحتى لاتكثر الكوارث، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ..... ﴾[1]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[2]. ويقول: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[3]. ويقول سبحانه عن معاملة المؤمن مع المؤمنين ومع غير المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

لكن قد يقال: إن المرء يكون أحياناً أضعف من أن يقاوم الشر مقاومة فعالة. وهذا القول فيه خطأ كبير، وعدم ثقة في الله عز وجل، وضعف في الإيمان، لأنه لاينبغي للإنسان المسلم أن يقف موقفاً سلبياً تجاه التهديدات التي تريد النيل منه، بل عليه أن يكون إيجابياً تجاه أي حادث أو تهديد، ولذلك من الخير له أن يحاول دفع الشر عن نفسه وعن دينه وبلده ومجتمعه ماوسعه الجهد، بغض النظر عن الأذى الذي سيلحقه في سبيل ذلك، فهذا أكرم وأشرف له من الاستسلام والتخاذل أمام التهديد أو التلويح باستخدام العنف

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٩٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٩٤ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٥٤ .

أو القوة، لأن الاستسلام والتخاذل كثيراً ما يطمع ويشجع الطغاة على الإسراف في طغيانهم في ظلم الناس. فيعصفون بأمن واستقرار الأمم والمجتمعات المسالمة، ويشعلون الفتن ويوقظونها، تلك الفتن التي أمر الله عز وجل بتجنبها في قوله سبحانه: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾[1].

**المفهوم الخامس : الجريمة يسبقها عادة صراع نفسي، فعلى المصلحين تنمية الجانب الإيجابي تفادياً لوقوعها**

حاول الأخ المؤمن أن يلين قلب أخيه الحاقد، وأن يستعطفه، وأن يستجيش معاني الأخوة والسماحة في نفسه، وأن يزيل وساوس الشيطان عنه، وأن يقضي على نزعات القتل عنده، وأن يثير في نفسه معاني الإيمان والتقوى، والخوف من الله عز وجل، ومن عقابه في الأخرة. ولكن الرجل الحاقد لم يستجب لتلك المحاولات الصادقة، بل مضى قُدُماً في تنفيذ ما صَمَّمَ عليه من القتل، ومازال بذلك الشعور الحاقد والتفكير الأسود حتى نفَّذَ الجريمة، وقتل أخاه.

وقد أخبر القرآن الكريم عن هذه الفترة التي سبقت القتل بجملة عجيبة معجزة، قال: ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[2]. ومعنى طوعت: شجعت ووسَّعت وسهلت وزيّنَتْ، ونحب أن ننظر في هذه الجملة على ضوء علم النفس التحليلي، وأن نقدم من خلال هذا لوناً من ألوان التفسير النفسي للقرآن الكريم.

---

(١) سورة الأنفال جزء من الآية : ٢٥ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣٠ .

لقد كان الأخ الحاقد الظالم يعيش صراعاً نفسياً حاداً مريراً، وكانت تتجاذبه شتى النوازع والأفكار والهواجس المتعارضة المتناقضة، وكان يصغي إلى أصوات متباينة.

أولها: كلام أخيه الذي يوقظ في نفسه وشعوره وكيانه معاني الخير، ويدعوه إلى أن يعدل عن القتل فهو أخوه، وهو مسالم هادئ وادع، لايريد قتله لأنه يخاف الله، فلماذا يقتله؟ ما هو ذنبه؟ ألأنَّ الله تقبل منه قربانه؟ وماذا في ذلك؟ أليس يتقبل الله من المتقين؟ ثم إن هذه فضيلة لأخيه يستحق الثناء عليها، وليست جريمة يقتل بسببها!

ثانيها: وسوسة الشيطان له، وإثارته في نفسه معاني الحسد والحقد والكراهية، وإيقاظه في نفسه نوازع القتل والاعتداء على هذا الأخ الطيب، ويلح عليه إلحاحاً مستمراً في قتل أخيه، ويطوعه لذلك تطويعاً، ويسهله ويزينه له، ويرغبه فيه، ويشجعه عليه. وهذا دائماً دأب الشيطان مع النفوس الضعيفة البعيدة عن منهج الله عز وجل، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[2]. ويقول سبحانه: ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ**

(١) سورة الأنعام الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٤٨ .

﴿الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]. فكلام أخيه ونصحه له، ووسوسة الشيطان وحثه له على قتل أخيه جعله (بين إقدام وإحجام، كما جعله يفكر في كل كلمة من كلمات أخيه الحكيمة، فيجد في كل منها صارفاً له عن الجريمة، يدعَم ويؤيد ما في الفطرة من صوارف العقل والقرابة والهيبة، فتكر وسوسة الشيطان والحسد الذي غرسه في قلبه وفي نفسه الأمارة على كل صارف في نفسه اللوامة. فلا يزالان يتنازعان ويتجاذبان، حتى يغلب الحسد كُلاً منها، ويجذبه إلى الطاعة.

فإطاعة صوارف الفطرة، وصوارف الموعظة، لداعي الحسد، هو التطويع الذي عناه الله تعالى في قوله ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فلما تم كل ذلك قتله)[2].

وهكذا عصى قَابِيلُ رَبَّهُ، فَقَتل هَابِيلَ بوسْوَسَة الشيطان، وسيطرة الحسد على نفسه. وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

فبعد كل التذكير والعظة والمسالمة والتحذير التي وجهها هابيل لقابيل، (اندفعت نفس قابيل الشريرة، فوقعت الجريمة. وقعت وقد ذللت له نفسه كل عقبة، وطوعت له كل مانع، طوعت له نفسه القتل .. وقَتْل من؟ قتل أخيه .. وحق عليه النذير)[4] ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) سورة النحل الآية : ٦٣ .

(٢) تفسير المنار (٣٤٥/٦).

(٣) سورة المائدة الآية : ٣٠ .

(٤) في ظلال القرآن الكريم (٨٧٦/٢).

**المفهوم السادس : الاهتمام بآثار الجريمة ونتائجها أولى من تفاصيلها**

يلاحظ أن القرآن الكريم أوجز الكلام عن الجريمة التي وقعت من قابيل على أخيه هابيل في كلمة واحدة هي: ﴿ فَقَتَلَهُ ﴾ ولم يفصلها، بل تجاوزها إلى آثارها ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

ولعل في إيجاز الكلام عن الجريمة والتعبير عنها بكلمة واحدة حِكَمٌ مقصودة من الله عز وجل من أهمها :-

رغبة القرآن الكريم في تجاوز مشهد قتل الأخ لأخيه، لأنه لايستحق الذكر والتفصيل، ولا الوقفة المطولة، لأن الجريمة قد وقعت فلا داعي لذكر تفاصيلها. ولأن القرآن الكريم لايريد أن يبقي هذا المشهد - أي مشهد القتل - المروع مفصلا عالقا في ذهن السامع وشعوره، حتى لايوجِد عند السامع قَبُولاً له، أو اقتداء بذلك المجرم، وإنما يريد القرآن للسامع أن يتجاوز مشهد القتل إلى ما بعده من الآثار والنتائج والخسائر، ليزيل ما قد يعلق في ذهنه من شعور بالإعجاب، ورغبة في الاقتداء.

كذلك من الحِكَمِ أيضاً أن القرآن الكريم أراد أن يدعونا إلى الاكتفاء بإخباره هو عن القتل، ونلتزم ببيانه فقط لهذه الجريمة، ونتجاوز كل كلام مفصل عن عملية القتل، لأنه كلام أخذه المفسرون من الإسرائيليات، ولايجوز تفسير كلام الله بالخرافات والأساطير والأكاذيب، وهي الصفة الغالبة على الإسرائيليات[1]!

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن (١٠٧/٣) بتصرف.

**المفهوم السابع : عاقبة الجريمة خسران وندم طويل**

لقد ارتكب قابيل جريمة القتل في حق أخيه هابيل، ولم يستفد من فعله الشنيع هذا سوى الخسارة المطلقة.

فقد خسر نفسه فأوردها موارد الهلاك، وخسر سعادته واطمئنانه، وخسر حياته حيث حولها من حياة نافعة إيجابية إلى حياة شريرة ظالمة معتدية.

وخسر دنياه فما تهنأ له حياة، وخسر آخرته فباء بإثمه الأول وإثمه الأخير. بل وباء بإثم القاتل وإثم القتيل، إثم القاتل لارتكابه جريمة القتل، وإثم القتيل، لأن القتيل - وهو هابيل - لم يفكر في قتل أخيه الظالم، ولذلك فقد ألغى احتمال كونه قاتلا، وذلك لقوله: ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ** ﴾، وبذلك يحول هذا الاحتمال إلى القاتل، فيحمل القاتل النسبتين معا، وعندها يبوء بالإثمين ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾. وخسر تاريخه حيث صار تاريخاً للبغي والظلم والعدوان، وكان مثالاً لمعاني الشر والفساد، وقدوة لكل قاتل ظالم شرير.

بل وأصبح كِفْلٌ من دم كل نفس تقتل ظلماً منذ أن وقع في جريمته إلى قيام الساعة، لأنه كان أول من سَنَّ القتل، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ «لاتقتل نفسٌ ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها، لأنه كان أول من سن القتل»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في - أحاديث الأنبياء - الحديث (٣٣٣٥)، ومسلم في - القسامة - الحديث (٤٣٥٥)، والترمذي في - العلم - الحديث (٢٦٧٣)، والنسائي في - تحريم الدم -=

وخسر أخاه ففقد الناصر والرفيق، وخسر معاني الأخوة التي كانت تربطه بأخيه.

وخسر كل معاني الإنسانية الخيرة، مثل الرحمة والمودة والتسامح[1]، وخسر والديه وأهله، حيث غضبوا عليه لجريمته.

بل وخسر قبل كل ذلك علاقته بربه، ورحمته سبحانه وإنعامه عليه، فطرد من رحمة الله عز وجل، وحرم فضله عز وجل، واستحق جهنم والخلود فيها لقوله سبحانه: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[2].

إلى غير ذلك من صور الخسارة، ومظاهرها وألوانها، التي يشملها قوله سبحانه: ﴿ **فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾.

ولنتجاوز خسارة ذلك الأخ الحاقد الظالم، وننظر في دلالة أعم وأشمل للخسارة التي تتجاوز الزمان والمكان، لتنطبق على كل زمان ومكان، فكل من سفك دم أخيه من النسب أو في الإسلام أو في الإنسانية ظلماً وبغير جرم ولاوجه حق فهو خاسر، بل وكأنه قتل الناس جميعا، وصدق الله القائل: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾[3].

---

= الحديث (٣٩٩٦)، وابن ماجه في - الديات - الحديث (٢٦١٦).

(١) مع قصص السابقين في القرآن (٣/١١٠) بتصرف.

(٢) سورة النساء الآية : ٩٣ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٣٢ .

وهذه الخسارة تنسحب على الأفراد المسلمين، وعلى الأمة بأسرها، فمن قتل من المسلمين أخاً له بغير نفس فهو خاسر، وكأنه قتل الناس جميعا، وإذا تقاتلت الأمة الإسلامية فيما بينها، وحلت العداوة والبغضاء في قلوب أبنائها محل الأخوة والمحبة والتسامح فإن الخسران يلحقهم لامحالة.

أما إذا اجتمع المسلمون على الأخوة والمحبة والتعاون، وساد الحب بينهم والتقوا على قلب رجل واحد، فإن النجاح والفلاح والفوز يكون حليفهم لامحالة. ويخبرنا التاريخ خبر صدقٍ بهذه الحقيقة، ولعل أبرز مثال على صدق هذه الحقيقة واقعنا المعاصر. فالمسلمون في هذا العصر متفرقون، والعداوة مستمرة بينهم، والاختلاف قائم بين أغلب دول الإسلام، بل وقد وصل الأمر إلى التناحر والتقاتل بسبب الأطماع المادية، وتغلغل الحقد والحسد في قلوب البعض على البعض الأخر، لذلك تداعت عليهم الأمم كما يتداعى الأكلة على قصعتها، رغم أنهم كثرة، ولكنها كثرة لاتفيد ولاتسمن ولاتغني من جوع، فهي كثرة لامنفعة فيها، ولاخير من ورائها. ولذلك فقد عمتهم الخسارة الشاملة لكل شيء، خسارة لحقت دماءهم وأبناءهم، وأخلاقهم وروابطهم، وأموالهم، واقتصادهم، ووجودهم، وكيانهم، ومنزلتهم، وتأثيرهم، وأصبح العالم كله لايعيرهم أي اهتمام، بسبب الذل والهوان الذي هم فيه. رغم بذل المخلصين منهم من حكام ومسئولين وعلماء ومصلحين جهودا جَبّارة من أجل تخليصهم من غفوتهم وتخبطهم، ومحو آثار الذل والهوان الذي لحقهم.

ونقول لهؤلاء المخلصين استمروا في جهودكم، ولاتيأسوا، فالمسلمون دائماً إذا غفلوا عن دينهم ومبادئه وجاء من يوقظهم استجابوا له، وهبوا من سباتهم،

فرجعوا لكتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، فنبذوا الغل والحقد والحسد، وقضوا على العداوة والبغضاء المنتشرة بينهم، ونصروا دين ربهم، ودافعوا عن مقدساتهم بكل ما يملكون من أرواح وأموال وغير ذلك، ورفعوا راية الإسلام عالية خفاقة في ربوع العالم أجمع.

**المفهوم الثامن : خطورة الوساوس الشيطانية وكيفية الاحتراز منها**

إن استجابة قابيل لوسوسة الشيطان له بقتل أخيه هابيل وتنفيذه ذلك، إن هذا يعني أن الشيطان دائم الوسوسة للإنسان، يلقي في قلبه معاني الضلال، لايَفْتُرُ ولايمل، ولايكف عن هذه الوسوسة إلا بذكر الله عز وجل، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** ﴾[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ **الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** ﴾ هو الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سهى وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس[2]. وعنه أيضاً أنه قال: ﴿ **الْوَسْوَاسِ** ﴾ إذا ولد خَنَسَهُ الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه»[3]. وللشيطان قدرة فائقة على الوسوسة، كيف لا وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق كما قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[4].

(١) سورة الناس الآيات : ١ - ٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في - التفسير - تفسير ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

(٤) أخرجه البخاري في - الاعتكاف - الحديث (٢٠٣٥)، ومسلم في - السلام - الحديث (٥٦٤٣) وأبو داود في الصوم - الحديث (٢٤٧٠)، وابن ماجه في - الصوم - الحديث (١٧٧٩) وأحمد (٣/١٥٦).

وهو يأمر الإنسان دائماً بالسوء والفحشاء، وأن يقول على الله ما لايعلم، ويوحي له زخرف القول غرورا، ويدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ويعدهم الفقر، ويأمرهم بالفحشاء. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى نهانا عن اتباع خطواته، فقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[1]. ويقول سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾[2] ويقول عز وجل: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[3] ويقول أيضاً: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[4].

وأمرنا سبحانه وتعالى أن نستجير به عز وجل، ونلجأ إليه وحده من هذه الوسوسة، فإنه سبحانه وتعالى يستجيب لهذه الاستجارة، ويتكفل بإرغام هذا اللعين بالبعد عن المستجير بالله، ويخلصه من شروره، قال تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[5]. لذلك فمن الواجب على المسلم ألا ينساق خلف وسوسة الشيطان، ولايغتر ولاينخدع به، ولايمكنه من نفسه، ولايتخذه ناصحاً له، ولايتبع خطاه، لأنه لايدعو إلى خير،

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ١٦٨، ١٦٩ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

(٣) سورة فاطر الآية : ٦ .

(٤) سورة يوسف جزء من الآية : ٥ .

(٥) سورة الأعراف جزء من الآية : ٢٠٠ .

ولاينتهي بالإنسان إلى نجاة: ﴿ **إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾! فهل من عاقل يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير؟! (إنها لمسة وجدانية صادقة .. فحين يستحضر الإنسان صورة المعركة الخالدة بينه وبين عداوة الشيطان، فإنه يَتَحَفَّزُ بكل قواه، وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس، وحماية الذات، يَتَحَفَّزُ لدفع الغواية والإغراء، ويستيقظ لمداخل الشيطان إلى نفسه. ويتوجس من كل هاجسة، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مستترة من عدو قديم!

وهذه هي الحالة الوجدانية التي يريد القرآن أن ينشئها في الضمير. حالة التوفز والتحفز لدفع وسوسة الشيطان بالغواية، كما يتوفز الإنسان ويتحفز لكل بادرة من عدوه، وكل حركة خفية! حالة التعبئة الشعورية ضد الشر ودواعيه، وضد هواتفه المستمرة في النفس، وأسبابه الظاهرة للعيان. حالة الاستعداد الدائم للمعركة التي لاتهدأ لَحْظَةً، ولاتضع أوزارها في هذه الأرض أبداً. ثم يدعم سبحانه وتعالى هذه التعبئة وهذا الحذر وهذا التوفز ببيان عاقبة الكافرين الذين لبوا دعوة الشيطان، وحالة المؤمنين الذين طاردوه[1] ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾[2].

من كل ما سبق يتضح لنا أن قابيل استجاب للشيطان ولوساوسه وغواياته، واتبع خطاه، فوقع في المحظور، وقتل أخاه، فاستحق العذاب الشديد

---

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٩٢٦).

(٢) سورة فاطر الآية : ٧ .

الذي توعد الله عز وجل به كل من سلك مسلك قابيل.

**المفهوم التاسع : الحسد داء عضال كان وراء أول جريمة قتل في الأرض**

إن الحسد الذي ملأ قلب قابيل، لأن الله عز وجل تقبل قربان أخيه، ولم يتقبل قربانه، وجعله يرتكب أفظع جريمة، يدل على أن الحسد داء قديم في البشر، بل هو بعض ما يحمله الإنسان في أصل خلقته، وقمعه واستئصاله من النفس لايتم إلا بالإيمان العميق، والمعرفة والاستبصار وتزكية النفس.

ولما لهذا الداء من خطر جسيم على النفس وعلى المجتمع سأتناوله بشيء من التفصيل والبيان.

**أولاً - تعريف الحسد** : هو تمني زوال النعمة عن الآخرين. وهو بخلاف الغبطة وهي: تمني أن يكون له مثل ما للغير دون تمني زوالها عنه.

**ثانياً - أَضْرَارُ الحسد**: للحسد أضرار جسيمة تعود على الحاسد والمحسود.

**أ - أَضْرَارُهُ على الحاسد** : ضرر الحسد على الحاسد من وجوه كثيرة منها:

- أنه يجعل صاحبه يتكبر على الآخرين، ويرد الحق، ولذلك فإن إبليس الملعون لما حسد آدم عليه السلام جره حسده هذا إلى التكبر على أمر الله بالسجود لآدم، فلم يسجد قائلاً: ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾[1]. فطرده الله سبحانه وتعالى من الجنة قائلا له: ﴿ **اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا** ﴾[2]. وجعل عليه اللعنة إلى يوم الدين،

---

(١) سورة ص الآية : ٧٦ .

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية : ١٨ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[1].

- ويدخل الهم والحزن إلى قلب الحاسد، بسبب النعم التي أنعم الله عز وجل بها على الغير، ويظل في هذا الهم وذلك الحزن مادامت النعم موجودة، فإذا زالت النعم عن صاحبها زال الهم والحزن عن الحاسد، وحل محلهما الفرح والسرور، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾[2].

- والحسد يدفع صاحبهُ إلى العصيان ومخالفة أمر الله عز وجل.

- والحاسد في حسده كأنه ساخط على أمر الله وقضائه، ويعترض على ربه عز وجل الذي أنعم على المنعم عليهم بنِعَمِه، وهذا أمر في منتهى الخطورة، لأنه يؤثر في عقيدة الإنسان، بل ويجني عليها، مما يؤدي إلى سوء العاقبة في الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

**ب - إضرار الحسد بالمحسود :**

الحسد يضر بالمحسود سواء أظهر الحاسد حسده بقول أو فعل أم لم يظهره. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[3]. دون تعليق الاستعاذة بوقوع الحسد بالعمل بمقتضاه. ثم إن أغوار النفس البشرية لايمكن أن يحيط بها ويعرف دقائقها وخصائصها وقواها وتأثيراتها إلا الذي خلقها، وهو الله جل

(١) سورة الحجر الآية : ٣٥ .

(٢) سورة آل عمران جزء من الآية : ١٢٠ .

(٣) سورة الفلق بأكملها.

جلاله. فالحسد إذاً يؤذي بذاته، لذلك فإنه يستحق الاستعاذة بالله منه. وفي ذلك يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ والحسد: انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده، مع تمني زوالها. وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ، أو وقف عند حد الانفعال النفسي، فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال ... ثم يقول رحمه الله: فإذا حسد الحاسد، ووجه انفعالاً نفسياً معيناً إلى المحسود فلاسبيل لنفي أثر هذا التوجيه لمجرد أن مالدينا من العلم وأدوات الاختبار، لاتصل إلى سر هذا الأثر وكيفيته، فنحن لاندري إلا القليل في هذا الميدان. وهذا القليل يُكشف لنا عنه مصادفة في الغالب. ثم يستقر كحقيقة واقعة بعد ذلك! فهنا شر يستعاذ منه بالله، ويستجار منه بحماه .. والله برحمته وفضله هو الذي يوجه رسوله ﷺ وأمته من ورائه إلى الاستعاذة به من هذه الشرور. ومن المقطوع به أنهم متى استعاذوا به - وفق توجيهه - أعاذهم. وحماهم من هذه الشرور إجمالاً وتفصيلاً[1].

**اعتراض ورده :**

قد يعترض على هذا الكلام الذي سقناه فيقال: إننا لانلاحظ ضرراً يحدث بالمحسود بمجرد حسد الحاسد، مما يدل على أن الحسد بذاته لايضر إذا لم يظهر أثره في الخارج.

ويجيب على هذا الاعتراض الدكتور عبدالكريم زيدان فيقول: لايقال هذا؛

(١) في ظلال القرآن (٦/٤٠٠٨).

لأن قولنا إن الحسد بذاته فيه أذى وضرر، أي أنه سبب من الأسباب الضارة شأنه شأن أي سبب، سواء أكان من الأسباب المادية أم المعنوية، ومن المعلوم أن كل سبب لايظهر أثره، ولايؤدي إلى مُسبَّبه إلا إذا توافرت شروطه، وانتفت عنه موانعه، وهكذا القول في (الحسد) فهو سبب يفضي إلى أثره في إيذاء وإضرار المحسود إذا ما توافرت شروط هذا السبب، وانتفت موانعه، فمن هذه الشروط أن يكون هذا الحسد بقدر كاف من التأثير، وأن يكون المحسود بقدر كاف من التأثر به، وبقدر كاف من انعدام الوقاية والحصانة منه، ومن الوقاية منه الإيمان العميق، ودوام ذكر الله، والتوكل عليه، والاستعاذة به من شر الشيطان، وشر الحاسد[1]. وكان ﷺ يقرأ بالمعوذتين عند النوم، وينفث في كفيه، ويمسح بهما جسده. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وماأقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[2].

**ثالثاً - النهي عن الحسد:** نهى الشرع الحنيف المسلمين عن الحسد، وذمه، وذم صاحبه، ومما يدل على ذلك ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن

---

(١) المستفاد من قصص القرآن (١/١١٤، ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري في - فضائل القرآن - الحديث (٥٠١٦) واللفظ له، والترمذي في - الدعاء - الحديث (٣٤٠٢)، وأبو داود في - الأدب - الحديث (٥٠٥٦)، وأحمد (٦/١١٦، ١٥٤).

الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إياكم والظن.... ولاتحاسدوا. الخ»[2].

وعن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة: أما إني لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[3].

وعن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لايزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»[4].

وإنما كان الحسد مذموماً (لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لايستحق)[5]، ولأن الحاسد بحسده (كره حكم الله، ونازعه في قسمته التي قسمها لعباده، وعدله الذي أقامه في خلقه بِخَفِيّ حكمته)[6].

---

(١) أخرجه أبو داود في - الأدب - الحديث (٤٩٠٣)، وعبد بن حميد في مسنده الحديث (١٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في - الأدب - الحديث (٦٠٦٦)، ومسلم في - البر والصلة - الحديث (٦٤٨٢)، وأبو داود في - الأدب - الحديث (٤٩١٧) وأحمد (٣/١).

(٣) أخرجه الترمذي الحديث (٢٥١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٣٢/١٠)، والبزار في مسنده (١٣٢/٦) الحديث (٢٢٣٢)، وأحمد (٦٤/١)، وعبد بن حميد في مسنده (٦٣/١) الحديث (٩٧) وأورده الهيثمي في المجمع، وقال: رواه البزار وإسناده جيد.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٠٩/٨) الحديث (٨١٥٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧١/٢).

(٦) تفسير الفخر الرازي (٢٤٣/٣).

**رابعاً - الوقاية من الحسد :**

للوقاية من الحسد وسيلتان:

**الوسيلة الأولى:** التذكير بتحريم الحسد:

الإنسان ينسى دائماً وكيف لا وقد نسى أبونا آدم من قبل، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾[1]، وبالتذكير نستدرك ما يُفَوِّتُهُ علينا النسيان، وبالنسبة للحسد فإن المسلم قد لاينتبه إليه؛ لأنه من أعمال القلوب، فعلى الدعاة تذكير أنفسهم وغيرهم من أفراد الجماعة المسلمة بأضرار الحسد، وبالتذكير بوجوب تزكية النفس من أكداره وأقذاره، وبيان حرمته لهم، لأنه من المحرمات القلبية التي لايتفطن إليها أكثر الناس[2].

ومن المفيد في هذا المضمار تكرير النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على تحريم الحسد، حتى يرسخ في نفس السامع هذا الحكم الشرعي، فيبتعد عن الحسد، ويقلع عنه، ومن النصوص القرآنية التي تحرم الحسد وتكرارها يفيد في هذه الحالة قوله تعالى: ﴿ **وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ** ﴾[3]، وظاهر الإثم ما تعلق بأعمال الجوارح، وباطنه ما تعلق بأعمال القلوب، كالنيات الباطلة والكبر، والحسد[4].

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[5]

(١) سورة طه الآية : ١١٥ .

(٢) المستفاد من قصص القرآن (١١٨/١) بتصرف .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٢٠ .

(٤) تفسير القاسمي (٦٥٧/٧) والمنار (٢١/٨).

(٥) سورة الأعراف الآية : ٣٣ .

أي: ما ظهر منها من أعمال الجوارح، وما بطن منها من أعمال القلوب[1]. ومن المعلوم أن الحسد من أعمال القلوب المحرمة.

كما ينبغي على الدعاة أيضاً أن يبينوا للناس أن الحسد صفة من صفات اليهود التي جعلتهم ينكرون نبوة النبي ﷺ، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾[2]، وجعلتهم أيضاً يودون ارتداد المسلمين عن دينهم بدافع هذا الحسد، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾[3]. لذلك فمن الواجب على المسلم أن لايتخلق بأي خلق من أخلاق اليهود حتى لايكون مثلهم.

**الوسيلة الثانية** : الإيمان العميق الصحيح:

فالإيمان العميق الصحيح الصادق وسيلة من وسائل الوقاية من الحسد، ولذلك فهو يطرده، لأنهما متضادان، فهو كالماء الطهور إذا صببته على الشيء القذر أزال قذارته، ولذلك لايجتمع إيمان صحيح مع الحسد في قلب واحد، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لايجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولايجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد»[4].

---

(١) تفسير القاسمي (٦٩/٧) والمنار (٣٩٥/٨).

(٢) سورة النساء الآية : ٥٤ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٠٩ .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٦٦/١٠) الحديث (٤٦٠٦)، والنسائي (١٢/٦) الحديث (٣١٠٩)، والبيهقي في الكبرى (٩/٣) الحديث (٤٣١٧)، والطبراني في الصغير (٢٥١/١).

لأن الإيمان يجعل الإنسان لايعترض على حكم الله وعطائه ومنعه، ولايعقب على عدل الله في توزيع نعمه على خلقه، لأن هذا الاعتراض يناقض حقيقة الإيمان، وإن جاء بلباس الحسد، ولذلك لايتصور اجتماع الإيمان الصحيح والحسد في آن واحد في قلب المسلم. فتعميق الإيمان في قلب المسلم إذاً واستحضار معانيه ومستلزماته ومقتضياته من أهم وسائل الوقاية من الحسد[1].

**المفهوم العاشر : المسلم يستفيد العلم ويستثير المعرفة من كل ما يحيط به :**

على المسلم أن يتلقى العلم النافع أيّاً كان مصدره، بشرط أن لايكون فيه ما يخالف الدين الإسلامي، ونتعلم هذا الدرس من قصة الغراب مع قابيل، فهذا قابيل الذي أودع الله فيه من القدرات العقلية مالا تملك الوحوش والجوارح، ورغم ذلك عجز أن يكون مثل الغراب في أن يواري سوأة أخيه، وتعلم ذلك من الغراب، ففعل مثلما فَعَل الغراب، فَعَل ذلك صاغراً دون أي اعتراض أو ترفع. وسيدنا سليمان عليه السلام - مع ما أوتى من العلم - لم يستنكف أن يأخذ عن الهدهد ما اطَّلع عليه مما لم يكن يعلمه هو، بل إن الهدهد مع حقارته أجاب سليمان عليه السلام مع علو رتبته بصولة العلم بقوله: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾[2] غير مكترث بتهديده. فعلى المسلم أن يستثير العلم والمعرفة، ويستنبط الحكمة من كل ما يحيط به من حيوان أو نبات أو جماد، فالكون كتاب مفتوح يستفيد منه كل من يجيد قراءته. وأن

---

(١) المستفاد من قصص القرآن ص (١٢٠، ١٢١) بتصرف.

(٢) سورة النمل الآية : ٢٢ .

لايستنكف أن يتعلم ممن هو دونه خلقاً أو منزلة، ولاتأخذه العزة بالجهل أو بالغرور، فيرفض التعلم لأي علة، حتى لايكون من النادمين.

## المفهوم الحادي عشر : حكمة الأب وأثرها في توجيه الأسرة

إن إرشاد آدم عليه السلام ابنيه إلى التحكيم، وتقريب قربان إلى الله عز وجل فيه توجيه إلى الاحتكام إلى الحق، والبعد عن الهوى والحظوظ النفسية، وهو وإن بدا في الظاهر أنه لم يكبح من عناد قابيل، ولم يمنعه من جريمته، لكنه آتى ثماره الطيبة في هابيل، فكان منه ذلك الموقف الإيماني العقلاني، والاتزان النفسي، والبعد عن نزوات النفس، ونزغات الشيطان.

كما يبدو أيضاً أن بقية أفراد أسرة آدم عليه السلام كانت ملتزمة بهذا السلوك، فالقرآن الكريم لم يشر إلى غير ماشذ من شأن قابيل.

## المفهوم الثاني عشر : الأسرة نموذج مصغر عن المجتمع فيتوقع من أفرادها النزاع والأثرة

ينبغي لرب الأسرة أن يتوقع من الإخوة وقوع النزاع، والأثرة في حياته أو بعد وفاته، فإن كان هذا قد حصل في أسر الأنبياء عليهم السلام فوقوعه في غيرهم من الأسر أولى.

فعلى رب الأسرة أن يراقب تصرفات أبنائه منذ نعومة أظافرهم، ويتحسس أخلاقهم، ويعمل على تهذيبها، فإن ذلك إن لم يستأصل آثار الشر من النفوس فإنه يخففها، وإن لم يحسم الجريمة فإنه يقلل من آثارها، فما عسى أن يحصل لو أن هابيل أيضاً استجاب للإثارة ورد بالمثل على قابيل؟

لاشك أن الأمر سيتفاقم، وقد يكون مثل ذلك بداية شرارة مدمرة، تحصد الأسرة كلها، بل ربما تتعداها إلى غيرها، كما هو مشاهد في المجتمعات التي لم تنشأ التنشئة الإيمانية الصحيحة، فإنها تلجأ إلى مفاهيم جاهلية أو عصبية، فيسود الثأر والاستعلاء والحقد والكبر، فكم حصد الثأر أنفساً بريئة، وكم شتَّت الحقد والحسد أُسَراً كانت مستقرة، وقطّع أرحاماً وصلات، وأفسد حياة كانت سعيدة هانئة.

# الباب الثاني
# سيدنا نوح عليه السلام وأسرته

- تمهيد.

- المبحث الأول : موقف أهله من دعوته.

- المبحث الثاني :المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا نوح عليه السلام.

# تمهيد

سيدنا نوح عليه السلام هو أول رسول بعثه الله عز وجل إلى أهل الأرض بعد سيدنا آدم عليه السلام[1]، وهو من أولي العزم من الرسل، أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له، ونبذ عبادة الأصنام وغيرها، وإلى الإيمان باليوم الآخر، وإلى المساواة بين الناس، وإلى تصحيح المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة بينهم بسبب غياب عقيدة التوحيد، فاستجاب سيدنا نوح عليه السلام لأمر ربه، وقام بدعوة قومه على بصيرة من أمره، واتبع في دعوته هذه أساليب متعددة، ووسائل متنوعة، أملاً في استجابة قومه لما يدعوهم إليه. ولم يتوان لحظة واحدة عن دعوته بالليل والنهار، في السر والعلانية، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾[2]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا** ﴾[3]، ثم يقول: ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم** ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٢٣، ٤/٧١).

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٩ .

(٣) سورة نوح الآية : ١-٦ .

مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[١].

**موقف قومه منه وصبره عليهم**

مكث سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه مدة طويلة من الزمن، كانوا خلالها يكذبونه، ويجادلونه جدالاً مريراً، ويؤذونه كثيراً، ورغم كل ذلك كان صابراً على تكذيبهم وإيذائهم، كما كان يرد على شبههم ومجادلاتهم بما يدحضها ويبطلها، ولما يئسوا منه وعجزوا عن مواجهته هددوه بالقتل قائلين له: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾[٢]. عند ذلك توجه إلى ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]. ثم بعد ذلك طلبوا من نوح عليه السلام أن يأتيهم بالعذاب الذي توعدهم إياه قائلين له: ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[٤]. فرد عليهم قائلاً: ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[٥]. ثم أخبره الله عز وجل بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٦]. فدعا عليهم بقوله: ﴿ رَّبِّ

---

(١) سورة نوح الآيات : ٨-١٢ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ١١٦ .

(٣) سورة الشعراء الآيتان : ١١٧-١١٨ .

(٤) سورة هود الآية : ٣٢ .

(٥) سورة هود الآية : ٣٣ .

(٦) سورة هود الآية : ٣٦ .

لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[١] فأمره الله سبحانه وتعالى بصنع سفينة لينجيه ومن آمن معه فيها حين يرسل سبحانه وتعالى العذاب على الكفرة من قومه، ولما انتهى عليه السلام من صنعها أمره الله سبحانه وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول ومن آمن، ففعل كما أمره ربه عز وجل فأنجاه الله عز وجل ومن آمن معه، وأغرق الباقين. وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾[٢]. ويقول سبحانه: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[٣]. ثم يقول: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[٤]. وقال سبحانه: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة نوح الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سورة يونس الآية : ٧٣ .

(٣) سورة هود الآية : ٣٧ .

(٤) سورة هود الآية : ٤٠ .

(٥) سورة الشعراء الآيتان : ١١٩-١٢٠ .

# المبحث الأول
# موقف أهله من دعوته

## موقف أهله من دعوته

كان أهل نوح عليه السلام مِنْ جملة مَنِ اتبعه وآمن بدعوته، ولم يشذ منهم إلا زوجه وابن من أبنائه كما سنبين ذلك لاحقاً. والدليل على إيمان أهله به قول الله عز وجل لنوح عليه السلام حينما أمره بحمل من آمن به معه في السفينة، كي ينجيهم الله عز وجل من الغرق: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ** ﴾[1].

## موقف وَالِدَيْ نوح عليه السلام من دعوته

كان وَالِدا نوح عليه السلام من المؤمنين به، المصدقين بدعوته ورسالته، ولذلك فقد دعا لهما عليه السلام حينما توجه إلى ربه عز وجل بالدعاء وطلب المغفرة قائلاً: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا** ﴾[2]. قال المفسرون: كان والداه مؤمنين[3].

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية الكريمة:

ودعاء نوح النبي لربه أن يغفر له .. هو الأدب النبوي الكريم في حضرة الله العلي العظيم .. أدب العبد في حضرة الرب. العبد الذي لاينسى أنه بشر، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطع ويعبد، وأنه لايدخل الجنة بعمله إلا أن

---

(١) سورة هود الآية : ٤٠ .

(٢) سورة نوح الآية : ٢٨ .

(٣) تفسير الوسيط (٣٦٠/٤)، والماوردي (٣١٦/٤)، وإرشاد العقل السليم (٤٢/٩)، والجمل (٤١٥/٤)، وفتح القدير (٣٧٥/٥).

يتغمده الله بفضله، كما قال أخوه النبي الكريم محمد ﷺ، وهذا هو الاستغفار الذي دعا قومه العصاة الخاطئين إليه فاستكبروا عليه .. وهو هو النبي يستغفر بعد كل هذا الجهد، وكل هذا العناء .. يستغفر وهو يقدم لربه سجل الحساب!

ثم يقول: ودعاؤه لوالديه .. هو بر النبّوة بالوالدين المؤمنين - كما نفهم من هذا الدعاء - ولو لم يكونا مؤمنين لروجع فيهما كما روجع في شأن ولده الكافر الذي أغرق مع المغرقين (كما جاء في سورة هود)[1].

**زوجة نوح عليه السلام وموقفها من الدعوة :**

قد يبتلى الداعية بقومه وأصدقائه فيعاني منهم ما يعاني، لكنه إذا عاد إلى بيته وجد الراحة والطمأنينة النفسية، وهذا الذي كان يلقاه خاتم الأنبياء والمرسلين في كنف السيدة خديجة رضي الله عنها، فقد كانت لرسول الله ﷺ وزير صدق في الشدة والرخاء، يشكو إليها الرسول ﷺ فيجد عندها المؤانسة، ويركن إليها فتواسيه، وكانت عوناً له على البأساء والضراء، فهي بحق التي تسمى السكن كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾[2].

كما كانت تبذل كل الجهد من أجل تذليل الصعاب التي كانت تواجه الرسول ﷺ، وتشاركه همومه وآلامه، وتخفف عنه عبء هذه الهموم، وتبث في نفسه الاستمرار والثبات، حتى كانت بحق المثل الأعلى لما تستطيع الزوجة

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٧١٧).

(٢) سورة الروم الآية : ٢١ .

المؤمنة بدعوة الخير أن تقوم به في سبيل نجاح زوجها الداعية، وثباته، واستمراره في دعوته[1].

أما سيدنا نوح عليه السلام فقد ابتلاه الله بقومه وبأهل بيته. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2].

وكانت خيانة امرأة نوح تتمثل في أنها كانت تؤمن بما آمن به قومها .. من تقديس الأصنام، والدوران في فلك ما كان يدور فيه قومها من الكفر والعناد. ولم تأبه بدعوة زوجها، ووقفت موقف الرفض منها، ولم تكتف بذلك بل كانت تنقل أخبار سيدنا نوح عليه السلام وأسراره لأعدائه، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فخيانتها كانت خيانة في الدين، وليست في العرض، لأن نساء الأنبياء معصومات من الزنا.

وبسبب خيانتها هذه، فقد استحقت الغرق في الدنيا مع الغارقين، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾[3]. قال المفسرون: واحمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته، إلا من سبق عليه القول منهم، ممن لم يؤمن

---

(١) هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة للدكتور أحمد عبدالغني الجمل ص ١٢٣، ١٢٤ بتصرف.

(٢) سورة التحريم الآية : ١٠ .

(٣) سورة هود الآية : ٤٠ .

بالله، فكان منهم ابنه الذي انعزل وحده، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله[1]. ولذلك أهلكا مع الهالكين، كما استحقت أن تدخل النار في الآخرة مع الداخلين كما قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾. ولم ينفعها زواجها من سيدنا نوح عليه السلام، لأن القرابة لاتنفع عند الله، بل الذي ينفع هو الإيمان بالله والعمل الصالح.

**ابن نوح وموقفه من دعوة أبيه :**

لم ينكب نوح عليه السلام في زوجته التي أعرضت عن نداء الإيمان فقط، ولم تكن مصيبته بزوجه آخر مصائبه في بيته، بَلْ جَرَفَ الْكُفْرُ ابْناً من أبنائه، كَمَا جَرَفَ أُمَّ هذا التَّعِيس أيضاً.

ولما دعا نوح عليه السلام على قومه بالهلاك في قوله: ﴿ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[2]. أمره الله عز وجل بصنع سفينة - كما أشرنا سابقاً - لتكون وسيلة نجاة لمن آمن مع نوح عليه السلام، وبعد الانتهاء من صنعها أمره ربه أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ﴾[3]. وجاء الأمر الإلهي ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]. وهذا

---

(١) تفسير الوسيط (٢/٥٧٣)، والبغوي (٢/٣٨٤)، وابن كثير (٢/٤٤٥)، والجمل (٢/٣٩٧).

(٢) سورة نوح الآيتان : ٢٦-٢٧ .

(٣) سورة هود الآية : ٤٠ .

(٤) سورة هود الآية : ٤١ .

تعبير عن تسليم هذه السفينة للمشيئة في جريانها وَرُسُوِّهَا، فهي في رعاية الله وحماه، وماذا يملك البشر من أمر الفلك في اللجة الطاغية بله الطوفان؟

ثم يأتي المشهد الهائل المرهوب، مشهد الطوفان. ﴿ **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ** ﴾[1]، وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح عليه السلام فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد! ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ** ﴾[2]. ولكن البنوة العاقة لاتحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لاتقدر مدى الهول الشامل ﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ** ﴾[3]. ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول، وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير. ﴿ **قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ** ﴾[4]. لاجبال ولامخابئ ولاحَامٍ وَلَاوَاقٍ. إلا من رحم الله.

**مصير ابن نوح عليه السلام :**

وفي لحظة تتغير صفحة المشهد، فها هو ذا الموج الغامر يبتلع كل شيء ﴿ **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾[5]. أي: حال الموج بين نوح وابنه فكان ابن نوح من المغرقين.

---

(١) سورة هود الآية : ٤٢ .

(٢) الآية السابقة .

(٣) سورة هود الآية : ٤٣ .

(٤، ٥) سورة هود الآية : ٤٣ .

**نداء نوح عليه السلام ربه في شأن ابنه :**

وبعد هلاك المهلكين ونجاة المؤمنين ﴿ **قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[1]. ويفاجأ نوح عليه السلام بهلاك ابنه مع الهالكين، فينادي ربه سائلاً إياه سبحانه وتعالى عن سبب هلاكه مع أنه من أهله قائلاً له: ﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾[2]. وسؤال سيدنا نوح عليه السلام هذا لربه ليس من باب الاعتراض على الله، فحاشا لنوح عليه السلام أن يعترض على أمر من أمور الله، إنما هو سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق ﴿ **فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي** ﴾ وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لايخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** ﴾[3]. أي: ليس من الذين وعدت بنجاتهم، لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ولهذا قال: ﴿ **وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ** ﴾[4]. فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق، لكفره ومخالفته أباه نبيَّ الله نوحاً عليه السلام[5].

**شبهة وردها :**

قد يقال : كيف وقع الدعاء من نوح؟ أي: دعاؤه ربه أن ينجي ابنه؟ وقد

(١) سورة هود الآية : ٤٤ .

(٢) سورة هود الآية : ٤٥ .

(٣) سورة هود الآية : ٤٦ .

(٤) سورة هود جزء من الآية : ٤٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٤٧، ٢٤٨).

علم أن الذين سبق عليهم القول هم الكافرون الذين قضى الله بهلاكهم، وكان ابنه منهم، ولايعقل أن يخفى عليه أمره؟

وللإجابة على هذه الشبهة أو هذا التساؤل نقول:

يحتمل أن نوحاً عليه السلام حين رأى ابنه بمعزل عن الكفار ظن أنه جنح إلى الإيمان، وصار من أهله الذين وعد الله بنجاتهم.

ويحتمل أن يكون قد فهم أن ابنه غير داخل في العموم الوارد في قوله تعالى: ﴿ **أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ** ﴾[1]. لأنه تعالى جعل الناجين صنفين: أهله إلا من استثنى، ومن آمن من قومه. فجاز في فهمه عليه السلام أن يؤمن من أهله من كان كافراً، لأنهم صنف قائم بذاته، وليسوا قسماً من الصنف الآخر، وهم المؤمنون من قومه، ووافق هذا القول وقواه رحمة الأبوة وشفقتها، فسأل الله ما سأله بشأن ابنه، فعاتبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿ **فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾[2]. أي: فلا تسألني في شيء من الأشياء ليس لك به علم صحيح أنه حق وصواب[3]. ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾[4]. أي: أنهاك عن هذا السؤال، وأحذرك منه كراهية أن تكون من الجاهلين، أي: الآثمين[5].

وهذا النهي من الله عز وجل لنبيه نوح عليه السلام فيه عتاب محاط بكل

(١) سورة هودة الآية : ٣٦ .

(٢) سورة هود الآية : ٤٦ .

(٣) تفسير المنار (١٢/٨٤، ٨٥) والمستفاد من قصص القرآن (١/١٥٠).

(٤) سورة هود الآية : ٤٦ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٩/٤٨).

رفق وتلطف، وكأن الله عز وجل يقول له: إن مقامك عظيم، فشأنك أن لاتسأل مثل هذا السؤال الذي لاتعلم أَصَوَابٌ أم لا؟ أَوْلاَ تعلم ما هي عاقبته ومآله، وهل يكون خيراً أو غير ذلك، وإني أعظك وعظاً تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين.

يقول ابن العربي حول هذا المعنى: وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحاً عليه السلام عن مقام الجاهلين، ويعليه إلى مقام العلماء والعارفين[1].

وليس ما قاله الله تعالى لنوح عليه السلام فيه قدح بعصمة الأنبياء كما ذكر بعضهم، إنما يحمل هذا العتاب على ترك الأولى، وحسنات الأبرارسيئات المقربين[2].

**اعتذار سيدنا نوح عليه السلام لربه واستغفاره :**

لما عاتب الله عز وجل نوحاً عليه السلام بسبب طلبه منه نجاة ابنه من الهلاك، توجه عليه السلام لربه لَائماً نفسه، نادماً على ما بدر منه، سائلاً إياه عز وجل المغفرة والرحمة ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[3].

ونلاحظ هنا أن سيدنا نوح عليه السلام بدأ اعتذاره بالاستعاذة بالله، مبالغة في التوبة، وإظهاراً للرغبة والنشاط فيها، وتبركاً بذكر مالقنه الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/٩) وتفسير البيضاوي (١١٠/٣) وحاشية الصاوي على الجلالين (٢١٧/٢).

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤/١٨).

(٣) سورة هود الآية : ٤٧ .

تعالى، وهو أبلغ من أن يقول: أتوب إليك أن أسألك؛ لما فيه من الدلالة على كون ذلك الأمر هائلاً محذوراً لاميحص منه إلا بالاستجارة بالله تعالى، وأن قدرته قاصرة على النجاة من المكاره إلا بذلك[1].

وبعد استجارته بالله طلب منه المغفرة والتوبة على ما صدر منه من السؤال. وذلك بقوله له: ﴿ **وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾، لأن التوبة تقوم بأمرين (الأول) في المستقبل، وهو العزم على الترك، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾. و(الثاني) في الماضي، وهو الندم على ما صدر منه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ **وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[2].

وأخيراً ختم سيدنا نوح عليه السلام اعتذاره برجائه من الله عز وجل أن يقبل هذا الاعتذار والأسف، وإلا سيكون من الذين خسروا أعمالهم[3].

---

(١) القصص القرآني للدكتور عماد زهير حافظ ص ٣٢ .

(٢) التفسير الكبير للرازي (٥/١٨).

(٣) تفسير أبي السعود (٢١٣/٤).

# المبحث الثاني
# المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة نوح عليه السلام

# المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة نوح عليه السلام

## المفهوم الأول : المؤمن مبتلى على قدر إيمانه

إن العبد المؤمن يبتلى على قدر إيمانه، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد ابتلاء فقال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

وها هو ذا سيدنا نوح عليه السلام - وهو من أنبياء الله، بل ومن أولي العزم من الرسل - ابتلي ابتلاء شديداً في دعوته، ثم ابتلي في أهله زوجته، ثم ابتلي أيضاً في ابنه، والابتلاء في الأهل والولد من أعظم البلايا، ووقوف الأهل والولد في صف المعادين للإنسان أعظم وأعظم، ورغم ذلك فقد صبر سيدنا نوح عليه السلام على ذلك، ولم يقنط، بل حاول صرف ولده عن عناده، وإقناعه بترك الكفر، واللحاق بركب الإيمان. ولكن لم يستجب هذا الابن العاق لدعوة أبيه.

## المفهوم الثاني : الفوز والنجاة بالعمل الصالح لا بالقرابة والنسب

بعد أن حال الموج بين نوح عليه السلام وابنه الكافر، ومضى كل إلى وجهة غير وجهة الآخر، وانبلج في صدر نوح عليه السلام هم كبير، واستولى عليه

---

(١) أخرجه الترمذي في - الزهد - الحديث (٢٣٩٨) وقال : حسن صحيح.

حـزن خطيـر، وأيقـن أن ابنه قـد غـرق مع الغـرقى، فلم يَغِبْ عـن بالـه، ولم يتـزحزح طيـفـه عن خيـاله، ومـا أن اسـتقـرت السـفينـة واسـتـوت بأهلهـا على الجودي[1]، حتى كان أول شيء توجه به نوح إلى ربه، قبل أن يستقر به المكان، ويشغله أي شأن أن سأله أن يسبل الرحمة الوابلة، والمغفرة الهاطلة على فلذة كبده، فإنه إن فاته نجاة الدنيا، فيرجو ألا تفوته نجاة الحياة الأبدية الآخرة، فأدلى إلى ربه بدعاء من كل كيانه استهله بقوله «رب» الكلمة التي تضم معاني العناية والإكرام والتربية ودوام الاهتمام، والصلة المستمرة، ورفعة المقام، بأن ابنه من أهله، وبما له من مقام عند ربه أن يلحظ بعض أهله - ابنه - بعين عنايته، وواسع رحمته، ولم يصرح بذلك، بل عَرَّض بذلك تعريضاً، تأدباً مع ربه، واستغناء بعلم ربه بسؤاله وحاجته، وهذه طريقة معروفة عند النُّبَهاء الألبَّاء، كقول أمية ابن أبي الصلت الثقفي في ابن جدعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء؟

إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء

كريم لا يغيره صباح ... عن الفعل الجميل ولا المساء

ومع كل هذا التلطف مع وهج عاطفة الأبوة الملتهبة، وشدة الأسى المتعاظم، جاءت التربية الربانية، والحكمة الإلهية، لتضع الأمور في نصابها، فقال له ربه الجليل العظيم: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ . هذه الكلمات الربانية، والقواطع الإلهية، أخرجته من دائرة أهله،

---

(١) الجودي اسم جبل قيل هو: بين الموصل والجزيرة.

وأبعدته إلى مهوى سحيق، لايذكر فيه، ولايلتفت إليه، لأنه اختار الكفر على الإيمان، وسلك مسالك الشيطان، فلم يعد للرحم الماسَّة معنى، وليس للولادة والنسب تأثير[1]، لقد جاء الإعلام الإلهي مبيناً أن نسب الإنسان لايغني عنه شيئاً إذا كان صاحبه عارياً من الإيمان والعمل الصالح، فابن سيدنا نوح عليه السلام لاشك في رفعة نسبه، فهو ابن نوح رسول الله، ولكنه لم ينفعه شيئاً، لكونه كافراً، فالله تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، وليس بأنسابهم، ولايحابي أحداً منهم لأجل آبائه وأجداده الصالحين، وإن كانوا من الأنبياء المرسلين[2].

وهذا الذي قلناه هو أصل من أصول شريعة الإسلام، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنده عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ فقال: يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يافاطمة بنت محمد سليني ما شئت لاأغني عنك من الله شيئاً[3]. وفي موضوع سرقة المخزومية وتوسيط قريش أسامة بن زيد رضي الله عنه ليشفع لها عند رسول الله ﷺ كي لايقطع يدها فقال له الرسول ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله، .... ثم قال: وإني

---

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم للدكتور فاروق حمادة ص ٢٠ .

(٢) تفسير المنار (٨٥/١٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة الشعراء (١٤٠/٦) ومسلم في كتاب الإيمان باب قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ بألفاظ متقاربة (١٩٤/١) ط الحلبي.

والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1].

وهذا أبو لهب عم الرسول ﷺ كان كافراً، لكنه سيصلى ناراً ذات لهب هو وزوجته، لكفرهما، ولم يغن عنه كونه عم الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[2].

ويبين الله عز وجل أن الأكرم عند الله هو التقي قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3].

كما يبين سبحانه أيضا أن العبرة بقرابة الدين لابقرابة النسب. فالمسلم عليه أن لايخص بالود من يكفر بالله ويعصيه، ولو كان من أقرب الناس إليه نسباً. قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾[4].

كما يبين سبحانه وتعالى أن الأعمال الصالحة هي المعول عليها في نيل السعادة في الآخرة، وأنه ليس للشفاعات والقرابات أي تأثير في نجاة الإنسان إن كان عاصياً، وهذا ما أكده القرآن الكريم أيضا في قوله عز وجل: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ

---

(١) رواه البخاري (١٩٩/٨) ومسلم في الحدود باب النهي عن الشفاعة في الحدود حديث رقم ٩ .

(٢) سورة المسد بأكملها.

(٣) سورة الحجرات جزء من الآية : ١٣ .

(٤) سورة المجادلة الآية : ٢٢ .

عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[1] . ففي إهلاك امرأة نوح وامرأة لوط بسبب كفرهما وانحرافهما عن طريق الهداية عظة بليغة فحواها أن القرابة مهما اشتدت لايمكن أن تغني الإنسان شيئاً إذا كان سيء العمل[2].

**المفهوم الثالث : الوشيجة التي تجمع الناس هي العقيدة الإسلامية**

في قول الله تعالى لنوح عليه السلام عن ابنه حينما ناداه قائلا له سبحانه: ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[3] . يدل على أن الوشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة، تتميز بها طبيعة هذا الدين، وتتعلق بآفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم.

إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الدم والنسب، وليست وشيجة الأرض والوطن، وليست وشيجة القوم والعشيرة، وليست وشيجة اللون واللغة، وليست وشيجة الجنس والعنصر، وليست وشيجة الحرفة والطبقة، إن هذه الوشائج جميعها قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد، كما قال سبحانه وتعالى لعبده نوح عليه السلام وهو يقول: ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾[4] ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ . ثم بين له لماذا يكون ابنه .. ليس من أهله .. ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ

---

(١) سورة التحريم الآية : ١٠ .

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٨١ .

(٣) ، (٤) سورة هود الآية : ٤٥-٤٦ .

﴿ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[1] . إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يانوح: ﴿ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[2] . فأنت تحسب أنه من أهلك، ولكن هذا الحسبان خاطئ، أما العموم المستيقن فهو أنه ليس من أهلك، ولو كان هو ابنك من صلبك؛

إنها وشيجة العقيدة الإسلامية الصحيحة، تلك العقيدة التي تمثل أعلى خصائص الإنسان التي تفرقه من عالم البهيمة، لأنها تتعلق بالعنصر الزائد في تركيبه وكينونته عن تركيب البهيمة وكينونتها، وهو العنصر الروحي الذي به صار هذا المخلوق إنساناً في هذه الصورة، وحتى أشد الملحدين إلحاداً أو أكثر الماديين مادية، قد انتبهوا أخيراً إلى أن العقيدة خاصة من خواص الإنسان، تفرقه فرقاً أساسياً عن الحيوان. من هنا فإن العقيدة هي الأساس، والقاعدة الأصيلة التي يجب أن يقوم عليها المجتمع المسلم، ولايقوم على سواها، لأن الله سبحانه وتعالى طالب المسلمين بالالتزام بهذه العقيدة في حسم ووضوح يتمثلان في مواقف كثيرة، وفي توجيهات من القرآن كثيرة. هذه نماذج منها: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

---

(١) ، (٢) سورة هود الآية : ٤٦ .

(٣) سورة المجادلة الآية : ٢٢ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾(١).

﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٣).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤).

وهكذا تقررت تلك القاعدة الأصيلة الحاسمة في علاقات المجتمع الإسلامي، وفي طبيعة بنائه وتكوينه العضوي الذي يتميز به عن سائر المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً إلى آخر الزمان. ولم يعد هناك مجال للجمع بين الإسلام وبين إقامة المجتمع على أية قاعدة أخرى غير قاعدة العقيدة. تلك القاعدة التي اختارها الله عز وجل للأمة المختارة(٥).

---

(١) سورة الممتحنة الآية : ١ .

(٢) سورة الممتحنة الآية : ٣-٤ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٢٣ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٥١ .

(٥) في ظلال القرآن (٤/١٨٨٦-١٨٨٨) بتصرف.

**المفهوم الرابع : دعوة الأبناء والأقارب إلى الله والصبر عليهم**

إن نوحاً عليه السلام ظل يدعو ابنه وينصحه لِلُّحوقِ به وبمن معه من المؤمنين لآخر لحظة في حياته، لأنه أب والأب مسئول عن دعوة ابنه باستمرار لدين الله، ونصيحته، حتى لايعاتبه الله على فساده وضلاله، وهذا مستفاد من قوله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[1] . ومن قوله ﷺ: « ...كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..»[2] .

ولأنه نبي جاء لدعوة الناس إلى الخير، وإلى دين الله، فيجب عليه تبليغ دعوته إلى المدعوين حتى الرمق الأخير منهم، كما فعل رسولنا الكريم ﷺ مع الكثيرين وعلى رأسهم عمه (أبو طالب)، فلعل هذه الدعوة في هذه اللحظات الأخيرة في الحياة تجد من يصغى إليها، فيستجيب لها، ويذعن لمقتضياتها، فيتبدل مصيره من النار إلى الجنة.

**المفهوم الخامس : وجوب اختيار الزوجات الصالحات**

يجب على الآباء أن يحرصوا على اختيار الزوجات الصالحات الملتزمات بدين الله عز وجل، لأنها هي التي تؤثر تأثيراً مباشراً في الأبناء، فهي تحملهم في بطنها عدة أشهر، وتضمهم إلى صدرها بعد ولادتهم، ويرتشفون منه مايقتاتون به مدة من الزمن ليست بالهينة، ثم هي التي تؤثر فيهم وفي تكوينهم النفسي تأثيراً قوياً ومباشراً، بل وتساهم مساهمة فعالة وأساسية في

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة - باب الجمعة في القرى والمدن حديث ١٨ .

تنشئتهم، وبالتالي فهي تؤثر فيهم من حيث العقيدة والعبادات والأخلاق والسلوك، ولذلك فما أعظم قول الرسول ﷺ «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1].

كما يجب على الآباء توفير البيئة الصالحة التي تشكل أولادهم على المنهج الإسلامي، والمبادئ والأفكار النبيلة. وتوجيههم منذ صغرهم توجيهاً سليماً صحيحاً معتمداً في هذا التوجيه على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأن يعملوا جاهدين على أن يكون رفاق أبنائهم صالحين حتى يشبوا صالحين. فإن الصحبة لها أثر كبير في التأثير على الأصحاب، وفي الحديث «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[2]. وقالوا قديماً: الصاحب ساحب.

كما يجب عليهم كذلك بل وعلى كل المربين، أن يسلكوا مع من يربونهم من الأبناء وغيرهم أفضل الأساليب مع تنوعها واختلافها وتدرجها، حتى تكون أبعد أثراً، وأعمق تأثيراً. وتكون بالتالي أدعى لاستجابتهم عاجلاً أو آجلاً.

## المفهوم السادس: التلطف في دعوة الأبناء ونصحهم وإظهار الرحمة والرأفة بهم

في نداء نوح عليه السلام لابنه بكلمة «يابني» فائدة جليلة؛ إذ أن نداءه بالتصغير «فيه تحنن ورأفة ورحمة» وبهذه الكلمة يَسْتَجِيشُ فيه عاطفة الْبُنُوَّة

(١) أخرجه البخاري في - النكاح - الحديث (٥٠٩٠)، ومسلم في - الرضاع - الحديث (٣٦٢٠). وأبو داود في - النكاح - الحديث (٢٠٤٧)، والنسائي في - النكاح - الحديث (٣٢٣٠)، وابن ماجه في - النكاح - الحديث (١٨٥٨)، وأحمد (٦٢/١).

(٢) أخرجه أبو داود في - الأدب - الحديث (٤٨٣٣)، والترمذي في - الزهد - الحديث (٢٣٧٨)، وأحمد (٣٠٣/٢).

لعله يهتم لندائه، وَيَنْتَبِه لما يقال له، ويستمع ثم ينتفع، وتكون الاستجابة المطلوبة. وهذا الأسلوب في ابتداء الخطاب مع الأبناء بهذه الكلمة هو من الحكمة بمكان في تربية الأبناء، فعلى الآباء والمربين أن يخاطبوا أبناءهم - وإن كانوا على خطأ - بالألفاظ التي يستجيشون بها مشاعرهم، وأن يشعروهم بحنانهم ورأفتهم بهم، لعل هذا يجعل منهم آذاناً صاغية فيلبون ويطيعون[1].

كما أن هذا الأسلوب أيضاً فيه فائدة للمربين والدعاة ينبغي عليهم الالتفات إليها، وهي أنه: من الواجب عليهم أن يخاطبوا من يربونهم ومن يدعونهم إلى دين الله عز وجل بما يظهر لهم المودة والمحبة والشفقة والعطف عليهم، وبما يجعلهم يميلون إليهم وإلى دعوتهم، ويقبلون عليهم، ولاينفرون منهم، كما ينبغي عليهم أن ينادونهم بأحب الأسماء إليهم، حتى يؤثروا في نفسياتهم، فيجذبونهم إليهم، فيسمعون لهم، فيجيبون ويهتدون، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

**المفهوم السابع : من بر الوالدين الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة**

في مقام الأدب مع الله والتذلل بين يديه دعا نوح ربه أن يغفر له ولوالديه وللمؤمنين فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥/٢٢٦)، وبهذا التحنن والتلطف خاطب سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه: ﴿قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾. وكذلك، رددها لقمان مع ابنه في كل خطابه ﴿يابني لا تشرك بالله...﴾.

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

﴿ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[1].

وفي هذا توجيه لكل مؤمن أن يستديم الدعاء لوالديه ولإخوانه من المؤمنين. وبهذا وردت الآيات والأحاديث النبوية الكثيرة، قال تعالى في معرض الأمر بالإحسان إلى الوالدين: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[2] وهذا القول الكريم يدل على أمور من أهمها ما يلي:

**أولاً** : قال القَفَّال رحمه الله: إن الله عز وجل لم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الأقوال، بل أضاف إليه تعليم الأفعال، وهو: أن يدعو لهما بالرحمة فيقول: ﴿ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾ ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا[3].

**ثانياً** : لما كان الأبناء عاجزين عن أن يوفوا آباءهم حقوقهم - مهما قدموا من البر والإحسان - إلا في حالة واحدة فقط ذكرها الرسول ﷺ في قوله «لايجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[4] لذا فإن الله عز وجل أمر الأبناء تعويض ذلك بالدعاء لهما بالرحمة، تلك الرحمة التي لايستطيع الولد إيصالها إلى أبويه إلا بالابتهال إلى الله تعالى بالدعاء.

**ثالثاً** : يقول القرطبي رحمه الله، الأمر بالدعاء للوالدين بالرحمة، يكون

---

(١) سورة نوح الآية ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٢٤ .

(٣) التفسير الكبير أو مفاتح الغيب للرازي (١٥٣/٥).

(٤) أخرجه مسلم في - العتق - الحديث (٣٧٧٨)، وأبو داود في - الأدب الحديث (٥١٣٧)، والترمذي في - البر والصلة - الحديث (١٩٠٦)، وابن ماجه في - الأدب - الحديث (٣٦٥٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٢/١)، وأحمد (٢٣٠/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٢/٦).

للوالدين المؤمنين فقط دون غيرهما، لأن القرآن الكريم قد نهى عن الاستغفار للمشركين الأموات، ولو كانوا أولي قربى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[1]. وعلى ذلك فإذا كان والدا المسلم ذميين استعمل الإبن معهما ما أمره الله عز وجل به في قوله سبحانه: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾[2] . أما الترحم لهما بعد موتهما على الكفر فهو منهي عنه كما مر ذكره، وقيل: إن المقصود بالدعاء هنا هو الدعاء بالرحمة الدنيوية للأبوين المشركين مادما حَيَّيْنِ، أو يكون عموم هذه الآية خص بتلك، لارحمة الآخرة، لاسيما وقد قيل: إن قوله ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ نزلت في سعد بن أبي وقاص، فإنه أسلم، فألقت أمه بنفسها في الرمضاء متجردة، فذُكر ذلك لسعد فقال: لِتَمُتْ، فنزلت هذه الآية. وقيل: الآية خاصة في الدعاء للأبوين المسلمين، والصواب أن ذلك عموم[3].

ومما ورد في السنة الشريفة ويدل على الأمر بالدعاء والاستغفار للوالدين ما يلي:

عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٢٤،٢٣ .

(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) المجلد الخامس (١٦٠/١٠) بتصرف.

إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يارسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، «الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[1] وفي رواية فقال الرجل: ما أكبر هذا - أو ما أطيبه - يا رسول الله. قال: «فاعمل به»[2] . والمقصود بالصلاة عليهما: الدعاء، ومنه صلاة الجنازة، والاستغفار لهما: أي: طلب المغفرة لهما هو تخصيص بعد تعميم[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»[4].

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على وجوب الدعاء للوالدين والاستغفار لهما في حياتهما وبعد مماتهما. وانتفاعهما بهذا الدعاء لاسيما إذا كان صادراً من ولد صالح.

## المفهوم الثامن : في قصة نوح عليه السلام أسوة لمن لم يوفق بأبناء بررة

في قصة نوح عليه السلام مع ابنه الكافر أسوة لمن لم يوفق بأبناء بررة،

---

(١) أخرجه أبو داود في - الأدب - الحديث (٥١٣١).

(٢) أخرجه الحاكم بألفاظ قريبة (١٥٥/٤)، وابن حبان (١٦٢/٢)، والبخاري في الأدب المفرد ص٣٥، وابن ماجه في - الأدب - الحديث (٣٦٦٤) وأحمد (٤٩٨/٣)، والطبراني في الكبير (٥٩٢/١٩).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد أبادي (٣٦/١٤).

(٤) أخرجه أحمد (٥٠٨/٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/١٠) وقال: أخرجه أحمد، والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق.

أو ببعض منهم، لايسلكون مدارج الإيمان، ولايرتدون حُلَلَ اليقين فيرتَدُّون على أعقابهم خاسرين، ويدبرون عن الهدى مستكبرين منعزلين في موجات الانحلال والضلال، فما تنفعهم قرابات المقربين، أو شفاعات الشافعين، وعلى هذا جاء التشريع الحكيم في القرآن العظيم إلى يوم الدين، فالكفر يقطع الصلات النسبية، وليس له من قرابة المؤمنين حماية ولانفقة واجبة، ولاميراث، وهذا له تفصيل وتكميل يدريه نفر من العالمين، وفي الآخرة بُعْداً للقوم الظالمين[1]. قال الزمخشري في الكشاف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ** ﴾ تعليل لانتفاء كونه من أهله، وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان حبشياً، وكنت قرشياً، لصيقك وخصيصك، ومن لم يكن على دينك، وإن كان أمس أقاربك رحماً، فهو أبعد بعيد منك، وجُعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغةً في ذَمّه. . وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم، لا لأنهم أهلك وأقاربك، وأن هذا لما انتفى عن الصلاح لم تنفعه أبوتك[2].

---

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم للدكتور فاروق حمادة ص ٢٢ .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (٢/٢٧٣).

# الباب الثالث
# سيدنا إبراهيم عليه السلام وأسرته

- تمهيد.

- المبحث الأول : دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه.

- المبحث الثاني : سيدنا إسماعيل عليه السلام دعوة أبيه.

- المبحث الثالث : قصة الذبيح.

- المبحث الرابع : زيارات سيدنا إبراهيم لأهله بمكة وبناء الكعبة.

- المبحث الخامس : سيدنا إبراهيم عليه السلام والبشرى بإسحاق.

- المبحث السادس : وصية سيدنا إبراهيم لأبنائه.

- المبحث السابع : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

# تمهيد

بعث خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام على فترة من الرسل، في وقت كان الناس فيه ينحتون الأصنام بأيديهم، ثم يتخذونها أرباباً من دون الله، كما كانوا يعبدون الكواكب السيارة، فدعى قومه إلى عبادة الله الواحد القهار، وترك ما يعبدونه من دون الله، فآذوه إيذاءات كثيرة، ولاقى منهم الصدود والتكذيب الكثير، بل لقد وصل الأمر بقومه إلى أنهم أجمعوا على حرقه بالنار، وبالفعل ألقوه فيها، لكن الله عز وجل نجاه منها، بأن جعلها برداً وسلاماً عليه، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[1]. وأبطل الله كيدهم، وقد خص سيدنا إبراهيم عليه السلام أباه آزر بالدعوة بداية، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له. خاصة وأن أباه كان عابداً للأصنام، شأنه في ذلك شأن بقية قومه.

(١) سورة الأنبياء الآيات: ٦٨-٧٠.

# المبحث الأول
# دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه

## دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه

توجه سيدنا إبراهيم عليه السلام بدعوته إلى أبيه الذي كان صاحب طباع قاسية، وفظاظة متناهية، وأعمال ضالة آثمة، وسلوك كالح قاتم، توجه إليه بكل احترام وإجلال، جامعاً في دعوته له كل معاني القربى والانتماء، قاصداً أسمى المعاني، وأفضل الأهداف، مستخدماً في حواراته معه كل الأساليب العلمية التي تدلل على وجود الله عز وجل، وتسوق العقول السوية إلى الاهتداء إليه، والاعتقاد الجازم بوحدانيته سبحانه وتعالى، والابتعاد عن الوثنية وتوابعها، وكان ذلك بأسلوب مليء بالحكمة، مفعم بالأدب الجم، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ويحكي لنا الله عز وجل حواراً دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين والده في هذا المضمار فيقول سبحانه: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا** ﴾[1].

(١) سورة مريم الآيات : ٤١ - ٤٩ .

إن هذا السلوك الذي اتبعه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع والده أثناء دعوته إلى عبادة الله وحده لاشريك له، وترك عبادة ماعداه من المعبودات الأخرى لأمر يحتفى به، ويروى عبر الأجيال، لتكرار صورته، وتردد نموذجه، لهذا نوه به القرآن العظيم: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ... أي: اذكر ذلك على وجه الخصوص من أحوال إبراهيم، لأهميته وشأنه، وبيان صِدِّيقيته، فقد خرج وحده عن مألوف قومه، وديانة أبيه وأمه.

**تلطف إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه إلى التوحيد :**

من خلال استعراضنا للحوار السابق الذي دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام ووالده يتضح لنا عدة أمور من أهمها ما يلي:

- بدت في هذا الحوار وداعة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحلمه في ألفاظه وتعبيراته التي حكى القرآن الكريم ترجمتها بالعربية، وفي تصرفاته ومواجهاته لكفر والده وجهالته.
- وصف الله عز وجل سيدنا إبراهيم عليه السلام قبل البدء في بيان النصيحة بأنه كان صِدِّيقاً نَبِيّاً، ولفظة (صديق) تحتمل معنى أنه كثير الصدق، وكثير التصديق، لأنه من أهل الصدق في حديثه، وفي أخباره، وفي مواعيده، والصدق والتصديق كلاهما يتناسب مع شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام. وقوله سبحانه ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً ﴾ يشير إلى أنه عليه السلام: كان صادقاً مع قومه قبل النبوة، لتقدم لفظ ﴿ صِدِّيقاً ﴾ على لفظ ﴿ نَّبِياً ﴾.

## رَدُّ الأَبِ آزَر على ابنه إبراهيم :

على الرغم من تلطف سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه في الخطاب، والتزامه معه أقصى حدود الأدب في دعوته، وعلى الرغم من استعطافه وإثارة عواطف الأبوة فيه بمخاطبته له بـ ﴿ **يَا أَبَتِ** ﴾ فإننا نرى الأب (آزر) يقابل كل ذلك بالقسوة والعنف والغلظة والتهديد، فبعد أن استمع لابنه قال له: ﴿ **أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾[1]. أي: أَمُعْرِضٌ وَمُنْصَرِفٌ أنت عن آلهتي ياإبراهيم؟ لئن لم تنته عن الطعن في آلهتي، وعن نصحك لي بترك عبادتها لأرجمنك بالحجارة ﴿ **وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** ﴾ أي: تباعد عَنِّي زمناً طويلاً[2]. وكان هذا الرد في منتهى القسوة والجفاء، ونضوب الحنان، وغلظة المشاعر، وقلة التَّفهم، كما كان هذا الرد يحمل كل معاني الإصرار والعناد، والتحقير والتصغير (أنت) والعزة بالانتماء إلى الباطل والمحافظة عليه: «آلهتي» واستبعاد هذا من مثله «ياإبراهيم» تكملة للإنكار والتعجيب، ومع حضوره بين يديه قصد تنبيهه إلى سوء فعله - بزعمه - وكأنه في غيبة عن إدراك عمله وقوله، فنزله منزلة الغائب لإرجاع رشده إليه في زعمه!!

وجمع له كل معاني التأكيد إذا لم يتراجع عن طريقه سيكون مصيره في المستقبل الموت المحقق ﴿ **لأَرْجُمَنَّكَ** ﴾ وَعَرَّبُوناً على هذا التصميم والتأكيد

---

(١) سورة مريم الآية : ٤٦ .

(٢) تفسير القرطبي (١١/١١١)، والقاسمي (١١/١٢١).

أعلن قرار الهجران، والمقاطعة الطويلة﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ فلا مكالمة، ولامعاشرة، ولن يكون لك في داري أي مكان، وليس لك في صدري أدنى شيء من الحنان، أو العطف والإحسان.

لقد أعلن له عقوبتين: أولاهما عاجلة، وهي الطرد من المنزل والتشريد والنفي، فإن لم تنفع فالأخرى الآجلة وهي: الرجم حتى الموت[1].

وهذا الذي قاله (آزر) لابنه إبراهيم عليه السلام ليس غريباً أن يصدر منه، فالكفر أو الشرك قد جعل قلبه كجلمود صخر، بل إن جلمود الصخر أكثر ليونة منه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

## رَدُّ إبراهيم عليه السلام على أبيه :

لقد أكمل إبراهيم عليه السلام خطه المرسوم، ونهجه المعلوم في مقابلة العنجهية والنخوة الجاهلية بالرفق واللين وسعة الصدر، وحسن الخلق الذي كان دأب المؤمنين الصالحين، وخاصة مع الوالدين والأقربين والأهل والمقربين. فقال: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ لينهي الحوار مع أبيه بهذه الكلمة الرضية، والمعاني السامية الندية، وفي هذا القول من إبراهيم عليه السلام مايدل على قمة البر الذي تمتع به إبراهيم عليه السلام، فمع جهل أبيه عليه، وتهديده له، لم ينس

(١) آباء وأبناء في القرآن الكريم ص ٤٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٧٤ .

حق الصحبة بالمعروف ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا . . .الآية ﴾[1].

كما يدل أيضاً على قمة الحلم الذي وصل إليه إبراهيم عليه السلام، وبهذه الصفة كان عليه السلام من أولي العزم من الرسل ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[2]. وصفة الحلم من الصفات التي مدح الله عز وجل بها عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

ويحمل هذا القول من إبراهيم عليه السلام أعني قوله لأبيه: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ معنى التوديع والمتاركة، ومقابلة السيئة بالحسنة[4].

وتلك صفات عباد الرحمن، قال تعالى في وصفهم: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[6].

وإنما يقال هذا القول بعد بذل كل المحاولات لهداية المدعوين، وعدم وجود الاستجابة، ولم تعد تنفع معهم أية محاولة.

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٥ .

(٢) سورة الشورى الآية : ٤٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٣٤ .

(٤) تفسير البيضاوي (٩/٤).

(٥) سورة الفرقان الآية ٦٣ .

(٦) سورة القصص الآية : ٥٥ .

وهذا هو شأن الداعية، وصفته المميزة، إذا أسيء إليه قابل الإساءة بالحسنة، وأعرض عمن جهل عليه اتباعاً لأمر ربه: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ** ﴾[1].

وبهذا يكسب الداعية مَدْعُوِّيه، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾[2].

وبعد أن قال إبراهيم عليه السلام هذا القول لأبيه أتبعه بقوله ﴿ **سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾[3].

وَوَفَّى إبراهيم عليه السلام لأبيه بوعده، فكان يستغفر له، ويدعو ربه لهدايته، ولعله كان قبل أن يهجرهم يلين مرة فيطمع إبراهيم عليه السلام في لحاقه به فيزداد دعاء، ويقسو مرة ويبتعد، فيحزن عليه ويرجو .. فلما مات على الكفر تبرأ منه، وانقطعت بينهما الأسباب، وأعلن ذلك على الملأ أسوة للمتبعين، ومنهجاً للمؤمنين إلى يوم الدين، وأنه لاوشائج ولاعلائق مودة وموالاة بين المؤمنين والكافرين، وخلدها القرآن الكريم[4]، قال عز من قائل: ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ**

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ٩٦ .

(٢) سورة فصلت الآيتان : ٣٤ - ٣٥ .

(٣) سورة مريم الآيتان : ٤٧ - ٤٨ .

(٤) آباء وأبناء في القرآن الكريم ص ٤٢ .

لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

إن العقيدة هي العروة الوثقى الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية، فإذا انبتَّتْ وشيجة العقيدة انبتَّتْ الأواصر الأخرى من جذورها، فلا لقاء بعد ذلك في نسب، ولا لقاء بعد ذلك في صهر، ولا لقاء بعد ذلك في قوم، ولا لقاء بعد ذلك في أرض .. إما إيمان بالله، فالوشيجة الكبرى موصولة، والوشائج الأخرى كلها تنبع منها، وتلتقي بها، أَوْلاَ إيمان، فلا صلة إذن يمكن أن تقوم بين إنسان وإنسان[2]. وفي قول سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ امتداد في بيانه لحقيقة الدعوة، فإذا كان قد نفى السمع والبصر والقدرة عن معبوداتهم من قبل، فإنه يثبت لربه سبحانه وتعالى كمال الصفات، ومنها غفران الذنوب. كما أن للفظ الرب في قوله مغزى بعيد، ووقع حميد، يهيئان للانتقال إلى الجزئية الأخيرة في الآية ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ الدالة على إكمال النعمة، وإتمام الفضل، إذ الود إنما يكون من نصيب عباد الله المؤمنين الصالحين[3]. وقد جاءت الإشارة إلى ذلك صراحة في آخر سورة مريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[4].

واعتزل سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه ومعبوداتهم بعد بذله كل مافي وسعه لإرشادهم إلى طريق الخير والصلاح والنجاح والفلاح، ونيله منهم كل

(١) سورة التوبة الآية : ١١٤ .

(٢) في ظلال القرآن (١٧٢١/٣).

(٣) القصص القرآني ص ٨٧ .

(٤) سورة مريم الآية : ٩٦ .

العناد والتكذيب والصدود، بل والأذى بالقول والفعل.

وقد آثر عليه السلام الاعتزال عن الهجر، لأن الاعتزال يعني البعد وعدم المشاركة والموافقة في الرأي، والمعتزل يحمل من الأمل في الهداية، وتكرير المحاولة إذا سنحت الفرصة.

أما الهجر فيعني البعد البين، ومن متعلقاته البغض، والهجر يحمل معنى اليأس من الاستجابة[1].

وهذا هو حال الداعية الذي يدعو قومه على بصيرة، ويبذل كل جهده وغاية طاقته في سبيل ذلك، ولما لم يجد استجابة ممن يدعوهم اعتزلهم، وانشغل بإصلاح نفسه وتقويمها وتهذيبها، وبإصلاح من معه من المؤمنين.

في قول سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ تعريض بشقاوة قومه بعبادة آلهتهم مع التواضع لله بكلمة ﴿ عَسَىٰٓ ﴾، وما فيه من هضم النفس، ومراعاة حسن الأدب، والتنبيه على أن الإجابة والإنابة بطريق التفضل منه تعالى[2].

مما سبق يتضح لنا أن هذه الصفحة من حياة الخليل إبراهيم عليه السلام معلم هداية، ومنهج تربية إلى يوم الدين، في وعيه وطريقته، ورفقه وترقيه بالحجة، وصبره وحلمه واعتزاله، ومقاطعته لقومه، ودعائه واستغفاره.

فما أحرى علماء التربية والقائمين على الأجيال اليوم وغداً أن يقتبسوا من هذه الثوابت الإنسانية، ويستنيروا بهذه القواعد التربوية القرآنية،

(١) تأملات في سورة مريم ص ١٠٠ بتصرف.

(٢) تفسير القاسمي (١٢٢/١١).

ويرسخوها في قلوب وعقول الأجيال لتتصرف على هديها، ويحسن بذلك قولها وفعلها[1]!!

روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أباطالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد أبا جهل، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «ياعم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هوعلى ملة عبدالمطلب؟ وأبَى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك مالم أُنْه عنه، فأنزل الله عز وجل ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[2]. ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ** ﴾. وقد قرر السلف على هدي هذه الآيات: أنه لابأس أن يدعو الرجل لأبويه الكافرين، ويستغفر لهما ماداما حيَّين، فإذا ماتا على الكفر فقد انقطع عنهما الرجاء فلايدعى لهما[3]. وَلَايُدْعَى ولايُسْتَغْفَر ولاتُطْلَبُ الرحمة من الله والرضوان لكل عدو محاد لله، مات على ذلك كائناً من كان، قريباً أو بعيداً، كبيراً أو حقيراً.

---

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص ٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في - الجنائز - الحديث (١٣٦٠) وفي - فضائل الصحابة - الحديث (٣٨٨٤)، ومسلم في - الإيمان - الحديث (١٣١)، والنسائي في - الجنائز - الحديث (٢٠٣٤). والآية من سورة التوبة ١١٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/٢٧٤) والآية من سورة التوبة ١١٤ .

# المبحث الثاني
# سيدنا إسماعيل عليه السلام دعوة أبيه

## سيدنا إسماعيل عليه السلام دعوة أبيه

دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده لاشريك له، وترك كل ما سواه من عبادة الأصنام والنجوم والكواكب وغير ذلك، واستخدم في دعوته هذه كل الوسائل وشتى الطرق لإثبات فساد ماهم فيه، وحاورهم محاورة تلو الأخرى، لكنهم لم يستجيبوا لما جاءهم به، بل وأجمعوا على إلقائه في النار ليتخلصوا منه، لكن الله عز وجل جعلها برداً وسلاماً عليه، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** ﴾[1]. فأبطل الله كيدهم، ونجى سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار، وعندما وصلت الأمور إلى هذا الحد قرر سيدنا إبراهيم عليه السلام اعتزال قومه وفراقهم، ففارقهم بالفعل، ثم طلب من ربه عز وجل أن يهبه ذرية صالحة تؤنسه وتعوضه عما ترك من الأهل والعشيرة والقوم، وليحملوا الرسالة من بعده، فقال: ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[2]. فاستجاب

---

(١) سورة الصافات الآيات : ٨٣ - ٩٨ .

(٢) سورة الصافات الآيتان : ٩٩ ، ١٠٠ .

الله عز وجل له وبشره بغلام حليم، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[1]. وكان الغلام الحليم هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بُشِّر به إبراهيم عليه السلام، وهو أكبر من أخيه إسحاق - عليه السلام - باتفاق العلماء، ومن صفات هذا الغلام - إسماعيل - أنه حليم، أي: متسع الصدر، حسن الصبر[2].

كما كان من صفاته أيضا: صدق الوعد، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[3].

**هجرة سيدنا إبراهيم بابنه إسماعيل عليهما السلام وزوجه هاجر إلى مكة**

شاءت إرادة الله عز وجل بعد إنجاب سيدنا إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام أن يهاجر سيدنا (إبراهيم) بولده (إسماعيل) وأمه (هاجر) إلى مكة.

روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: «أول ما اتخذ النساء المِنْطَق[4] من قبل أم إسماعيل اتخذت مِنْطَقاً لِتُعَفّي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت

---

(١) سورة الصافات الآية : ١٠١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤/٤) والقاسمي (١١٧/١٤).

(٣) سورة مريم الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) المِنطق بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء، وهو ما يشد به الوسط، ووقع في رواية ابن جريج النطق بضم النون والطاء، وهو جمع نطاق. فتح الباري (١٤١/١٣).

عند دَوْحَة[1] فوق زمزم في أعلى المسجد[2]، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء[3]، فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قَفَّى[4] إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولاشيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لايلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لايضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية[5] حيث لايرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾[6].

---

(١) عند دوحة: بفتح المهملة، وسكون الواو ثم مهملة الشجرة الكبيرة «المرجع السابق».

(٢) في أعلى المسجد: أي مكان المسجد لأنه لم يكن حينئذ بُنِيَ «السابق».

(٣) وسقاء فيه ماء، السقاء بكسر أوله قربة صغيرة، وفي رواية إبراهيم بن نافع عن كثير التي بعد هذه الرواية، ومعها شَنَّة، بفتح المعجم وتشديد النون وهي القربة العتيقة (السابق).

(٤) ثم قفى إبراهيم: أي وَلَّى راجعاً إلى الشام، وفي رواية ابن إسحاق: فانصرف إبراهيم إلى أهله بالشام، وترك إسماعيل وأمه عند البيت «السابق».

(٥) الثنية : بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد التحتانية.

(٦) رواه البخاري في - كتاب الأنبياء - باب يزفون النسلان في المشي. وكلمة يزفون من جملة قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه حين كسر أصنامهم، قال الله تعالى: ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ قال مجاهد: الوزيف النسلان. فتح الباري ١٣/١٣٨، ١٣٩ والآية من سورة إبراهيم : ٣٧ .

# المبحث الثالث
# قصـــة الـــذبيـــح

# قصة الذبيح

## لقاء الأب بابنه

بعد أن وضع سيدنا إبراهيم زوجه وابنه إسماعيل عليهما السلام بمكة كَرَّ أدراجه راجعاً بدمع سخين، وقلب مضطرب بالأنين والحنين، لفراق بكره الذي جاءه بعد طول انتظار، ولم يترك على الدوام لابنه الدعاء، ولم يغب طيفه عن باله وخياله، وتمر الأيام، وتكرّ الشهور والأعوام، ثم يتوجه سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى تلك الفيافي والقفار، قاصداً ذلك المكان الذي ترك فيه تلك البذرة الطيبة الزكية، والبضعة الطاهرة النقية (إسماعيل عليه السلام) وحصل اللقاء بين سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام بعد طول فراق ولأواء، وتعانقت الأبوة والبُنُوَّة، واعتقدا أن صفحة من المعاناة قد طويت، وأعقبها الصفاء والهناء، ولم ينقم الابن غياب أبيه، ولا ماسلف من صنيعه فيه، ولم تملأ الأم قلب ابنها بالحقد والكراهية، ولا البغضاء والشنآن، بل كان الابن يعرف حق والده وكرامته، وأكَّدَ ذلك حسن تربيته من أمه، وتكررت اللقاءات بين الأب وابنه.

## رؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل وإخباره بها

لما بلغ إسماعيل عليه السلام السن التي يقدر فيها على السعي والعمل، ابتلى الله عز وجل الأب والابن بابتلاء أشد من الابتلاء الأول - الذي أشرنا إليه سابقاً وهو ترك الابن والأم في واد لازرع فيه ولاماء - ابتلاء شاق على النفس، لتظهر الحقائق المكنونة في قلوب الأولياء، وتبرز إلى جوارح الخلص

الأصفياء. إنه الذبح. ذبح الولد الذي كان مطلباً على الدوام في الصلوات، والدعوات، والغدوات، والعشيات ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[١]. فقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه دائماً في توسل وضراعة أن يهبه ذرية تعوضه عن قومه وعشيرته الذين فارقهم، فاستجاب الله عز وجل دعاءه، ووهبه إسماعيل عليه السلام، فقرت به عينه، وأشرقت له نفسه، وأورق أمله بأن رزقه الله غلاماً بعدما بلغ من الكبر عتياً. لكن ما إن شب الغلام وبلغ أشده إلا ويؤمر سيدنا إبراهيم عليه السلام في المنام بذبحه.

## استسلام سيدنا إبراهيم عليه السلام للأمر

لما أمر اللهُ عز وجل سيدنا إبراهيم عليه السلام في المنام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، استسلم لهذا الأمر استسلاماً مطلقاً، ثم بادر بتنفيذه، لذلك فقد عرض الأمر على سيدنا إسماعيل ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[٢] يا لله! ويا لروعة الإيمان والطاعة والتسليم. هذا إبراهيم الشيخ، المقطوع من الأهل والقرابة، المهاجر من الأرض والوطن، ها هو ذا يرزق في كبره وهرمه بغلام، طالما تَطَلَّعَ إليه، فلما جاءه جاء غلاماً ممتازاً، يشهد له ربه بأنه حليم، وها هو ذا ما يكاد يأنس به، وصباه يتفتح، ويبلغ معه السعي، ويرافقه في الحياة.. ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه،

---

(١) سورة الصافات الآيتان: ١٠٠، ١٠١.

(٢) سورة الصافات الآية: ١٠٢.

ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية. فماذا؟ إنه لايتردد؟ ولايخالجه إلا شعور الطاعة، ولايخطر له إلا خاطر التسليم .. نعم إنها إشارة مجرد إشارة. وليست وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً. ولكنها إشارة من ربه[1]، عن طريق الرؤيا في المنام، وليس أمراً في حال اليقظة، مع أن الله قادر على أن يجعل ذلك في اليقظة، ولكن أشار الله عز وجل بها لنبيه إبراهيم عليه السلام - في المنام والله أعلم - (لزيادة البلاء، ولتكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص لله تعالى)[2]. وبالفعل استجاب سيدنا إبراهيم عليه السلام لأمر ربه، دون أن يعترض - كما أشرنا سابقاً - ودون أن يسأل ربه قائلاً: لماذا ياربي أذبح ابني الوحيد؟

بل استجاب لأمر الله، واستسلم له دون جزع ولا انزعاج، وأطاعه سبحانه وتعالى دون اضطراب. وَقَبِلَ أَمْرَ الله، ورضي به في طمأنينة وهدوء.

يبدو كل ذلك في كلمات سيدنا إبراهيم عليه السلام لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء، وفي اطمئنان عجيب، ليكون أطيب لقلبه، وأذهب لوساوس الشيطان عن لبّه، فلا يظن أو يعتريه نحو عاطفة الأبوة شكوك، أو بلابل، ودون أن يجرّه إلى حتفه قسراً، وينفذ فيه أمر الله قهراً، وناداه بنداء العطف والحنو، والإضافة والشفقة قائلا له: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾[3].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٩٩٤).

(٢) تفسير البيضاوي (٥/٩).

(٣) سورة الصافات الآية : ١٠٢ .

هكذا عرض عليه الأمر في كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه، وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن الذي لايَهُولُهُ الأمر فيؤديه في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه - والأمر شاق ما في ذلك شك - لماذا؟ لأن الله يطلب من إبراهيم عليه السلام أن يتولى بنفسه ذبح ابنه، وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض، ويطلب منه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه رأيه.

إنه لايأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه، وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر. فالأمر في حسه هكذا ربه يريد، فليكن ما يريد على العين والرأس، وابنه ينبغي أن يعرف، وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلاماً، لاقهراً واضطراراً. لينال هو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر، ويتذوق حلاوة التسليم! إنه يحب لابنه أن يتذوق لذة التطوع التي ذاقها، وأن ينال الخير الذي يراه هو أبقى من الحياة وأقنى.

### انقياد الابن المطيع لأمر الله

فماذا كان من أمر الغلام - الذي يعرض عليه الذبح، تصديقاً لرؤيا رآها أبوه؟ إنه ارتقى إلى الأفق الذي ارتقى إليه من قبل أبوه. ﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[1] إن الابن يتلقى الأمر لافي طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضى كذلك وفي يقين. ويعبر عن ذلك بأرق جواب، وألطف صواب، وأبلغ عبارة، وبأسلوب مليء بالمودة والقربى،

(١) سورة الصافات الآية : ١٠٢ .

والتحنن والترقيق، وإثارة مشاعر الأبوة، مما يدل على إيمان قوي، واستسلام كامل لله رب العالمين، كما يدل أيضاً على أن هذا الإيمان جعله لاينزعج بشبح الذبح، ولم يفزعه ولم يفقده رشده، بل لم يفقده أدبه ومودته، ﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** ﴾ فهو يحس ما أحسه من قبل قلب أبيه، يحس أن الرؤيا إشارة، وأن الإشارة أمر، وأنها تكفي لكي يلبي وينفذ بغير لجلجة ولاتمحل ولا ارتياب.

وفي قوله عليه السلام لأبيه : ﴿ **افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** ﴾ قد جمع له في هذا القول بين الإذن والتعليل، أي: أذنت لك أن تذبحني، لأن الله أمر بذلك، ففيه تصديق أبيه، وامتثال أمر الله. كما أن فيه أدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال، والاستعانة بربه على ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية، ومساعدته على الطاعة. ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ ولم يأخذها بطولة، ولم يأخذها شجاعة، ولم يأخذها اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة، ولم يظهر لشخصه ظلاً ولاحجماً ولاوزناً، إنما أرجع الفضل كله لله، إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على مايراد به ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ يا للأدب مع الله! ويا لروعة الإيمان، ويا لنبل الطاعة، ويا لعظمة التسليم[1].

## تنفيذ الأمر الإلهي كما ورد في الرؤيا

ويخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام ... يخطو إلى التنفيذ، ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** ﴾[2]. ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة، وعظمة

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٩٩٥).

(٢) سورة الصافات الآية : ١٠٣ .

الإيمان، وطمأنينة الرضى وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان.

إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعداداً للذبح، وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعاً، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً.

لقد أسلما .. فهذا هو الإسلام. هذا هو الإسلام في حقيقته، ثقة وطاعة وطمأنينة ورضى وتسليم، وتنفيذ .. وكلاهما لايجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لايصنعها غير الإيمان العظيم، إنها ليست الشجاعة والجرأة، وليس الاندفاع والحماسة، إنما هو الاستسلام الواعي المتعقل القاصد المريد، العارف بما يفعل، المطمئن لما يكون، لابل هنا الرضى الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها الجميل.

وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا. كانا قد أسلما، كانا قد حققا الأمر والتكليف، ولم يكن باقياً إلا أن يُذْبَح إسماعيل عليه السلام، ويسيل دمه، وتزهق روحه. وهذا أمر لايعني شيئاً في ميزان الله، بعدما وضع إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما.

كان الابتلاء قد تم، والامتحان قد وقع، ونتائجه قد ظهرت. وغاياته قد تحققت، ولم يعد إلا الألم البدني، وإلا الدم المسفوح، والجسد الذبيح، والله لايريد أن يعذب عباده بالابتلاء، ولايريد دماءهم وأجسادهم في شيء، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا، وقد حققوا التكليف، وقد جازوا الامتحان بنجاح. وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام صدقهما، وهو أعلم بذلك قبل أن يَأمُرَهُمَا بما أَمَرَهُما به. فاعتبرهما قد أديا وحققا

وَصَدَقا. ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

في هذه اللحظات الحاسمة التي تضطرب فيها الأحاسيس والأنفاس، وترتعش فيها الأفئدة والجوارح، جاء النداء العلوي: يا إبراهيم فعلت مثل ما رأيت في المنام من إمرار السكين على رقبة ولدك، قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلا، فالله لايريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لايبقى في النفس ما تكنه عن الله، أو تعزه عن أمره، أو تحتفظ به دونه، ولو كان هو الابن فلذة الكبد، ولو كانت هي النفس والحياة، وأنت يا إبراهيم قد فعلت، جُدْتَ بكل شيء، وبأعز شيء، وَجُدْت به في رضى، وفي هدوء، وفي طمأنينة، وفي يقين، فلم يبق إلا اللحم والدم. وهذا ينوب عنه ذبح. أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت، يفديها بذبح عظيم. وقيل له: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء، ونجزيهم بإقدارهم وإصبارهم على الأداء، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء، ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحدث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان. وجمال الطاعة، وعظمة التسليم. والذي ترجع إليه الأمة الإسلامية لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم. الذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته. ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها، أو تقوم عليها. ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية لاتسأل ربها لماذا؟ ولاتتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه، وأول توجيه،

---

(١) سورة الصافات الآية : ١٠٤ - ١٠٧ .

ولاتستبقي لنفسها في نفسها شيئاً، ولاتختار فيما تقدمه لربها هيئة ولاطريقة لتقديمه إلا كما طلب هو إليها أن تقدم! ثم لتعرف أن ربها لايريد أن يعذبها بالابتلاء، ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنما يريد أن تأتيه طائعة ملبية وافية مؤدية، مستسلمة لاتقدم بين يديه، ولاتتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا - وهو أعلم بذلك - أعفاها من التضحيات والآلام، واحتسبها لها وفاء وأداء. وقبل منها وفداها، وأكرمها كما أكرم أباها.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾[1] فهو مذكور على توالى الأجيال والقرون، وهو أمة، وهو أبو الأنبياء، وهو أبو هذه الأمة المسلمة، وهي وارثة ملته، وقد كتب الله لها وعليها قيادة البشرية على ملة إبراهيم عليه السلام، فجعلها الله له عقباً ونسباً إلى يوم الدين. ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[2] من ربه، سلام يسجل في كتابه الباقي، ويرقم في طوايا الوجود الكبير ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[3] نجزيهم بالبلاء، والوفاء والذكر، والسلام، والتكريم. ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] وهذا جزاء الإيمان، وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين[5].

**شبهة وردها :**

قد يثار هنا شبهة فحواها: إن الأمر بذبح إنسان معصية وجريمة من

---

(١) سورة الصافات الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة الصافات الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة الصافات الآية : ١١٠ .

(٤) سورة الصافات الآية : ١١١ .

(٥) في ظلال القرآن (٥/٢٩٩٥ - ٢٩٩٧) بتصرف

أعظم الجرائم، والأمر بارتكاب المعاصي والجرائم غير جائز، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يأمر الله عز وجل سيدنا إبراهيم عليه السلام بارتكاب جريمة الذبح؟ وذبح من؟ ذبح ابنه.

ويرد الإمام القرطبي رحمه الله على هذه الشبهة بقوله: إن المعاصي والطاعات ليست بأوصاف ذاتية للأعيان، وإنما الطاعات عبارة عما تعلق به الأمر من الأفعال، والمعصية عبارة عما تعلق به النهي من الأفعال، فلما تعلق الأمر بذبح الولد - سيدناَ إسماعيل - مِنْ - سيدنا إبراهيم - عليهما السلام - صار طاعة وابتلاء، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ في الصبر على ذبح الولد والنفس[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/١١١، ١١٢).

# المبحث الرابع
# زيارات سيدنا إبراهيم عليه السلام
# لأهله بمكة وبناء الكعبة

## زيارات سيدنا إبراهيم لأهله بمكة وبناء الكعبة

### زيارة إبراهيم عليه السلام لابنه وتفقد أهله

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يتردد من وقت لآخر لزيارة هاجر وإسماعيل عليه السلام بمكة، وفي يوم ما استأذن سيدنا إبراهيم عليه السلام من زوجه السيدة سارة لزيارة زوجه وابنه إسماعيل، فأذنت له، فتوجه نحو مكة، وقصد المكان الذي تركهما فيه، فوجد السيدة هاجر قد ماتت، ووجد ابنه إسماعيل قد تزوج من أهل بيت من جُرْهُمٍ، وعن ذلك يروي البخاري في صحيحه عن ابن عباس في حديث طويل ومنه (... وشَبَّ الْغُلاَمُ - يَعْني إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ[1]، وَأَنْفَسهُم[2]، وَأَعْجَبَهُم حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوه امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ. فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ[3] فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لنا[4]، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ[5] وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ[6]، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ

---

(١) وتعلم منهم العربية: فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيا، إلا أنه كان أفصح من نطق بالعربية.

(٢) أَنفَسَهُمْ بفتح الفاء والسين من النفاسة، أي: كثرت رغبتهم فيه، ووقع عند الإسماعيلي «وأنسهم» بغير فاء من الأنس.

(٣) يطالع تركته: أي: يتفقد حال ما تركه هناك.

(٤) يبتغي لنا: أي يطلب لنا الرزق، وفي رواية ابن جريج: وكان عيش إسماعيل الصيد يخرج فيتصيد.

(٥) وفي رواية «هل عندك ضيافة».

(٦) وفي حديث أبي جهم: فقال لها «هل من منزل؟ قالت: لا ها الله إذن، قال: فكيف عيشكم؟=

وَقُولِي لَهُ يُغَيِّر عَتَبَةَ بَابِه. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنِسَ شَيْئاً فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَم، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَم، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَام، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ[1]، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، ٱلْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَاشَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ. فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيرٍ وَسِعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: ٱلْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ[2] بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وٱلْمَاءِ، قَالَ النبيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ. قَالَ: فَهُمَا لَايَخْلُو عَلَيْهِمَا[3] أَحَدٌ بِغَيرِ مَكَّةَ إِلاَّ لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَم، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟

= قال: فَذَكَرَت جهدا، فقالت: أما الطعام فلاطعام، وأما الشاء فلاتحلب إلا المصر، أي الشَّخَب، وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ.

(١) تغيير عتبة الباب كناية عن الطلاق. وذلك واضح من قول إسماعيل «ذلك أبي وقد أمرني أفارقك».

(٢) وفي رواية إبراهيم بن نافع «اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم».

(٣) خلوت بالشيء واختليت إذا لم أخلط به غيره. وفي حديث أبي جهم «ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه». وفي رواية: فقالت: «انزل رحمك الله فاطعم واشرب، قال: إني لاأستطيع النزول، قالت: فإني أراك أشعث، أفلا أغسل رأسك وأدهنه؟ قال: بلى...» الحديث.

قَالَتْ: نَعَم، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَام، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بابِك[1]، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَة، أَمَرنِي أَنْ أمْسِكَك[2]، إلى أخر الحديث.

## بناء سيدنا إبراهيم الكعبة ومعاونة ابنه له

أمر الله عز وجل سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتاً يقوم الناس فيه بعبادة ربهم - كتلك التي تقوم الملائكة فيها في السماوات بعبادة ربها - وأرشده سبحانه إلى مكانه المهيأ له، المعين لذلك، منذ خلق السماوات والأرض[3]. كما ثبت في الصحيحين: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»[4].

وعن بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام البيت الحرام بمكة ومساعدة ابنه سيدنا إسماعيل له يقول سبحانه: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾[5].

ويقول سبحانه: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى** ﴾

---

(١) وفي حديث أبي جهم زيادة «ولقد كنت عَلَيَّ كريمة، قد ازددت عَلَيَّ كرامة، فولدت لإسماعيل عشرة ذكور».

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي حديث رقم (١٦٦).

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢١٥ .

(٤) رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد باب لايحل القتال بمكة، ومسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة.

(٥) سورة الحج الآيتان : ٢٦ - ٢٧ .

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

يذكر الله عز وجل عن عبده ورسوله وصفيه وخليله سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه بنى البيت العتيق - بمساعدة ابنه إسماعيل - الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس، يعبدون الله فيه، وبوأه الله مكانه، أي: أرشده إليه ودله عليه.

---

(١) سورة آل عمران الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة البقرة الآيات: ١٢٤ - ١٢٩.

والكعبة بحيال البيت المعمور، بحيث إنه لوسقط لسقط عليها، وكذلك معابد السماوات السبع، كما قال بعض السلف: إن في كل سماء بيتاً يعبد الله فيه أهل كل سماء، وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض.

فالذي بنى البيت الحرام هو سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام بأمر من الله عز وجل، كما تشير الآيات السابقة، وكما يشير حديث رسول الله ﷺ وفيه أن الرسول ﷺ قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: «...ثم لبث عنهم - أي عن إسماعيل وأهله - ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمر بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني - وفي رواية أنه قال له: إن الله قد أمرني أن تعينني عليه - فقال له: وأعينك - إذن أفعل - قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا. وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها»[1]. فهذا الحديث ومعه الآيات التي ذكرناها آنفاً يدلان على أن الذي بنى البيت الحرام هو سيدنا إبراهيم بمعاونة ابنه إسماعيل عليهما السلام.

وهذا الذي نقوله قاله ابن كثير رحمه الله، فقد قال: لم يجئ في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[2] فليس بناهض ولاظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدره، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء حديث رقم (١٦٦، ١٦٧).

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢١٥ .

إلى زمان إبراهيم[1] عليهما السلام.

**إتمام البناء والابتهاج به والدعاء**

وبعد اتفاق إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على بناء البيت قاما برفع قواعده «فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام هو، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا . . .** ﴾ الآية[2]. وفي الرواية الأخرى قوله: «حتى إذا ارتفع البناء، وضعف الشيخ عن نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة ويقولان ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[3]. والقواعد جمع قاعدة، وهي الأساس والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبة، ومعناها: الثابتة، ورفع الأساس البناء عليها، لأنها إذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، وتطاولت بعد التقاصر[4].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢١٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب - الأنبياء - الحديث (١٦٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب - الأنبياء - الحديث (١٦٧).

(٤) تفسير النسفي (٧٤/١).

# المبحث الخامس
# سيدنا إبراهيم عليه السلام
# والبشرى بإسحاق عليه السلام

## سيدنا إبراهيم عليه السلام والبشرى بإسحاق

### الملائكة تبشر بإسحاق

بُشِّرَ سيدنا إبراهيم عليه السلام بمولد ابن له يسمى إسحاق، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه البشرى في عدة مواضع:

**الموضع الأول في سورة هود:** قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[1].

**الموضع الثاني في سورة الحجر:** قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾[2].

**الموضع الثالث في سورة الذاريات :** قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

---

(١) سورة هود الآيات : ٦٩ - ٧٣ .

(٢) سورة الحجر الآيات : ٥١ - ٥٦ .

ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[1].

**الموضع الرابع في سورة الصافات:** قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾[2].

هذه الآيات الكريمة تتكلم عن بشارة الملائكة بإسحاق لإبراهيم عليه السلام وزوجه سارة.

وكانت هذه البشارة يحملها الملائكة الذين أرسلهم الله عز وجل إلى مدائن قوم لوط، ليدمروها عليهم، لكفرهم وفجورهم، وفي طريقهم لمدائن لوط مروا على سيدنا إبراهيم عليه السلام وبلغوه بهذه البشرى.

وكأن هذا الحدث الذي بُشِّرَ به إبراهيم عليه السلام مكافأة له على صبره واحتسابه وتضحياته بكل غال ونفيس في طاعة الله عز وجل.

**موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من هذه البشارة :**

لما بشر الملائكة إبراهيم عليه السلام بإسحاق، ذلك الغلام العليم، قال

---

(١) سورة الذاريات الآيات : ٢٤ - ٣٠ .

(٢) سورة الصافات الآيتان : ١١٢ ، ١١٣ .

لهم سيدنا إبراهيم متعجباً: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ أي: أتيتموني بهذه البشارة، وقد بلغت من الكبر ما بلغت، فبأي شيء تبشروني، وفي قوله هذا نُزّل الأمر العجيب المعلوم منزلة الأمر غير المعلوم، لأنه يكاد أن يكون غير معلوم. وقد علم إبراهيم عليه السلام من البشارة أنهم ملائكة صادقون، فتعين أن الاستفهام للتعجب.

وجواب الملائكة إياه بأنهم بشروه بالخبر الحق، أي الثابت الذي لاشك فيه، إبطالاً لما اقتضاه استفهامه بقوله ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ من أن مابشروه به أمر يكاد أن يكون منتفياً وباطلاً، فكلامهم رد لكلامه، وليس جواباً على استفهامه، لأنه استفهام غير حقيقي.

ثم نَهُوُه عن استبعاد ذلك بأنه استبعاد رحمة القدير، بعد أن علم أن المبشرين بها مرسلون إليه من الله، فاستبعاد ذلك يفضي إلى القنوط من رحمة الله، فقالوا: ﴿فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾[1]. ذلك أنه لما استبعد ذلك استبعاد المتعجب من حصوله كان ذلك أثراً من آثار رسوخ الأمور المعتادة في نفسه، بحيث لم يقلعه منها الخبر الذي يعلم صدقه، فبقي في نفسه بقية من التردد في حصول ذلك، فقاربت حاله تلك حال الذين ييأسون من أمر الله، ولما كان إبراهيم عليه السلام منزهاً عن القنوط من رحمة الله جاءوا في موعظته بطريقة الأدب المناسب، فَنَهُوُه عن أن يكون من زمرة القانطين، تحذيراً له مما يدخله في تلك الزمرة، ولم يفرضوا أن يكون هو قانطاً، لرفعة مقام نبوته عن ذلك، وهو في هذا المقام كحاله في مقام ما حكاه الله عنه في قوله: ﴿أَرِنِي

(١) سورة الحجر الآية : ٥٥ .

﴿كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]. وهذا النهي كقول الله لنوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2].

وقد ذكرته الموعظة مقاما نسيه فقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[3]. وهو استفهام إنكار في معنى النفي، ولذلك استثنى منه ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ يعني: أنه لم يذهب عنه اجتناب القنوط من رحمة الله، ولكنه امتلكه المعتاد فتعجب فصار ذلك كالذهول عن المعلوم، فلما نبهه الملائكة أدنى تنبيه تذكر[4].

ويلاحظ أنه قد برزت كلمة «الرحمة» في حكاية قول سيدنا إبراهيم عليه السلام تنسيقاً مع المقدمة في هذا السياق، وبرزت معها الحقيقة الكلية: أنه لايقنط من رحمة ربه إلا الضالون. الضالون عن طريق الله، الذين لايستروحون روحه، ولايحسون رحمته، ولا يستشعرون رأفته وبره ورعايته؛ فأما القلب الندي بالإيمان، المتصل بالرحمن، فلاييأس ولايقنط، مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادْلَهَمَّتْ حوله الخطوب، ومهما غام الجو وتلبد، وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر، وثقل هذا الواقع الظاهر .. فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين. وقدرة الله تنشئ الأسباب، كما تنشئ النتائج، وتغير الواقع كما تغير الموعود.

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٦٠ .

(٢) سورة هود الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الحجر الآية : ٥٦ .

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بين عاشور (١٤/٥٨ - ٦٠).

## موقف السيدة سارة من البشارة

تعجبت السيدة (سارة) رضي الله عنها من بشارة الملائكة لهما، كما تعجب زوجها من قبل، وصرخت صرخة عظيمة، وفعلت كما تفعل النساء في مثل هذه الأحوال؛ ويحكي الله عز وجل موقفها فيقول: ﴿ **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ** ﴾[1]. أي: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ وقالت أيضا: ﴿ **وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا** ﴾[2]. أي: زوجي كبير لايولد لمثله.

والتعجب كما جاء في آية أخرى شمل أمرين، بشارتهما بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ﴾[3].

وحين رأت الملائكة تعجبها هذا خاطبوها بقولهم: ﴿ **أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾[4] أي: لاينبغي لك أن تتعجبي من شيء هو من أمر الله عز وجل الذي لايعجزه شيء، ويلاحظ في كلام الملائكة إنكارهم تعجب السيدة سارة، وسبب إنكارهم تعجبها (أنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر، ولايزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة، وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا: ﴿ **رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾. أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٢٩ .

(٢) سورة هود جزء من الآية : ٧٢ .

(٣) سورة هود جزء من الآية : ٧١ .

(٤) سورة هود جزء من الآية : ٧٣ .

النبوة، فليست بمكان عجيب. كأنهم يقولون لها: إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم[1].

ويجب التنبيه هنا على أن تعجب سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة من البشارة بإسحاق لايدل على أنهما أنقصا من قُدرة الله ومشيئته العليا، وإنما هو غلبة الأمر المعتاد والسنة الجارية، ودليل هذا أنه عليه السلام بأدنى تنبيه ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾. وهكذا فإن قدرة الله عز وجل لاتحدها حدود، ولايقيدها ناموس من نواميسه، أو سنة من سننه، إذ هو خالق السنن والنواميس سبحانه.

وعن هذا الأمر يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - عند تناوله لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾: ولاعجب من أمر الله، فالعادة حين تجري بأمر لايكون معنى هذا أنها سنة لا تتبدل، وعندما يشاء الله شيئاً لحكمة يريدها - وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه - يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لانعلم حدودها.. ولانحكم عليها بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود، ونحن لانستقرئ جميع الحوادث في الوجود.

والذين يقيدون مشيئة الله بما يعرفونه هم من نواميسه لايعرفون حقيقة الألوهية كما يقررها الله سبحانه في كتابه - وقوله الفصل، وليس للعقل البشري قول في ذلك القول - وحتى الذين يقيدون مشيئة الله بما يقرر الله سبحانه أنه ناموسه، لايدركون حقيقة الألوهية كذلك! فمشيئة الله سبحانه

(١) تفسير النسقي (١٩٧/٢) بتصرف.

طليقة وراء ما قرره الله سبحانه من نواميس، ولاتتقيد مشيئة الله بالنواميس.

نعم إن الله سبحانه يجري هذا الكون وفق النواميس التي قدرها له. ولكن هذا شيء والقول بتقيد إرادته بهذه النواميس بعد وجودها شيء آخر! إن الناموس يجري وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها، فهو لايجري ولاينفذ آلياً. فإذا قدر الله في مرة أن يجري الناموس بصورة أخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة كان ما قدره الله،

ولم يقف الناموس في وجه هذا القدر الجديد .. ذلك أن الناموس الذي تندرج تحته كل النواميس هو طلاقة المشيئة بلاقيد على الإطلاق، وتحقق الناموس في كل مرة يتحقق فيها بقدر خاص طليق[1].

## نبوة سيدنا إسحاق عليه السلام

كان سيدنا إسحاق عليه السلام نبياً كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم في آيات منها: ﴿ **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** ﴾[2]. وهكذا تحققت البشارة التي بشرت الملائكة بها سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجه سارة.

---

(١) في ظلال القرآن (١٩١٢/٤).

(٢) سورة الصافات الآيتان: ١١٢، ١١٣.

# المبحث السادس
# وصية سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبنائه

## وصية سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبنائه

### المقصود بالوصية

الوصية : التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ، من قولهم: أرضٌ واصيَةٌ، متَّصلَةُ النبات، ويقال: أوصاه ووصاه، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ** ﴾(١). وقال: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾(٢) ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ** ﴾(٣) ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ** ﴾(٤) ﴿ **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا** ﴾(٥)، وَوَصَّى: أنشأ فَضْلَهُ، وتواصى القوم، إذا أوصى بعضهم إلى بعض(٦)، قال تعالى: ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾(٧).

### نص الوصية

ذكر الله عز وجل الوصية التي وصى بها سيدنا إبراهيم عليه السلام بنيه قبل موته في الآيات التالية: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ**

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية : ١٣٢ .

(٢) سورة النساء جزء من الآية : ١٣١ .

(٣) سورة العنكبوت جزء من الآية : ٨ .

(٤) سورة النساء جزء من الآية : ١١ .

(٥) سورة النساء جزء من الآية : ١٢ .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٧٣، ٨٧٤ .

(٧) سورة العصر الآية : ٣ .

﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

فهذه الآيات الكريمة تبين ملة إبراهيم عليه السلام وهي: الإسلام الخالص الصريح .. لايرغب عنه وينصرف إلا ظالم لنفسه، سفيه عليها، مستهتر بها. إبراهيم الذي اصطفاه ربه في الدنيا إماماً، وشهد له في الآخرة بالصلاح .. اصطفاه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴾ .. فلم يتلكأ .. ولم يرتب. ولم ينحرف، واستجاب فور تلقي الأمر. ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . هذه هي ملة إبراهيم .. الإسلام الخالص الصريح .. ولم يكتف إبراهيم عليه السلام بنفسه إنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ كما وصى بها يعقوب بنيه، ويعقوب هو: إسرائيل الذي ينتسبون إليه، ثم لايلبون وصيته، ووصية جده وجدهم إبراهيم عليهما السلام.

ولقد ذَكَّرَ كل من إبراهيم ويعقوب بنيه بنعمة الله عليهم في اختياره الدين لهم: ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾. ويبدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام وصيته لهم بتذكيرهم بنعمة الله وفضله عليهم، بأن اختار لهم هذا الدين الكامل من بين الأديان، وفضلهم به. وبعد أن هَيَّأَ قُلُوبَهُم وأذهانهم باستشعارهم النعمة التي فضلهم الله بها، واختارها لهم، بين أنه إذا كان الله عز وجل هو الذي اختار لهم هذا الدين واصطفاه لهم، فإنه لا اختيار لهم بعده، ولا اتجاه، وأقل ما توجبه رعاية الله لهم، وفضل الله عليهم، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه، والحرص على ما اختاره لهم، والاجتهاد في أن لايتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم، بمعنى أن لا يفارقوا هذا

(١) سورة البقرة الآيات : ١٣٠ - ١٣٢ .

الدين أيام حياتهم كلها؛ وذلك لأنه لايدري أحد متى تأتيه منيته، وكأنه يقول لهم: اثبتوا على دين الإسلام حتى لاتأتيكم المنية وأنتم على غيره، فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكوا[1]. ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

وها هي ذي الفرصة سانحة، فقد جاءهم الرسول الذي يدعوهم إلى الإسلام، وهو ثمرة الدعوة التي دعاها أبوهم إبراهيم[2] عليه السلام.

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره موضحاً هذه الوصية: ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. أي: أحسنوا في حال الحياة، والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالباً على ماكان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له، ويسر عليه، ومن نوى صالحاً ثبت عليه[3]. وهذا لايعارض ما جاء في الحديث الصحيح «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[4] لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث «فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وبعمل أهل النار

---

(١)، (٢) انظر جامع البيان للطبري (٤٣٨/١)، وفي ظلال القرآن (١١٦/١) كلاهما بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٨٥/١، ١٨٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب - بدء الخلق - الحديث (٣٢٠٨)، وفي كتاب - أحاديث الأنبياء - الحديث (٣٣٣٢)، ومسلم في كتاب - القدر - الحديث (٦٦٦٥) واللفظ له، وأبو داود في كتاب - السنة - الحديث (٤٧٠٨)، والترمذي في كتاب - القدر - الحديث (٢١٣٧)، وابن ماجه في - المقدمة - الحديث (٧٦)، وأحمد (٣٨٢/١).

فيما يبدو للناس، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[1].

وبعد فتلك هي وصية إبراهيم عليه السلام لنبيه.

---

(١) سورة الليل الآيات : ٥ - ١٠ .

# المبحث السابع
# المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

## المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

## من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

### المفهوم الأول : ينبغي على المربين والدعاة التزام الصدق والاستقامة

وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ** ﴾. وهذا فيه إشارة إلى أنه عليه السلام كان صادقاً مع قومه قبل النبوة لتقدم لفظ ﴿ **صِدِّيقاً** ﴾ على لفظ ﴿ **نَّبِياًّ** ﴾.

وهذا يجعلنا ننبه إلى أنه من الواجب على المربين والدعاة أن يلتزموا بالاستقامة وحسن الخلق، ونقاء السريرة من بداية نشأتهم، حتى يكتب لعملهم النجاح والتوفيق والقبول، والانتفاع مما يلقونه لكونهم قدوة لأتباعهم ولمن يربونهم. فالناس لاتؤثر فيهم المواعظ والخطب بقدر ما تؤثر فيهم النماذج الحية المتحركة بهذا الدين. ولذلك فإن الرسول ﷺ كان على خلق عظيم، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1]. عن سعد بن هشام بن عامر قال: قلت لعائشة: أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن[2]، وكان موصوفاً قبل البعثة بالصادق الأمين، فحينما جمع الرسول ﷺ الناس على الصفا لمّا نزلت ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ وقال لهم: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ماجربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين

---

(١) سورة القلم الآية : ٤ .

(٢) رواه مسلم في كتاب - المسافرين - الحديث (١٧٣٦)، وأبو داود في كتاب - البيوع - الحديث (١٣٤٢)، وأحمد (٥٣/٦).

يدي عذاب شديد»[1].

وقد أثنى الله عز وجل على سيدنا إسماعيل عليه السلام بأنه كان صادق الوعد، فقد كان عليه السلام صادق الوعد مع الله ومع نفسه ومع والده ومع غيره من الناس، قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ** ﴾[2]. وقد كانت هذه الصفة بارزة لديه، لدرجة تستدعي إبرازها والتنويه بها بشكل خاص، وإلا فهي صفة كل نبي وصالح. فكان صادقاً مع ربه ثم مع نفسه ثم مع أبيه حينما عرض عليه أبوه أمر الذبح، فقد قال لوالده: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[3]. وقد كان كما قال، ولذلك فإن الله عز وجل نجاه من الذبح وفداه بذبح عظيم، فصدق الوعد من الصفات الحميدة التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها، ويغرسها في نفوس الصغار حتى يشبّوا عليها؛ لأنها من صفات النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة. والمجتمع الذي تنتشر فيه هذه الصفة يكون مجتمعاً فاضلاً راقياً آمنا.

ونقيض صدق الوعد خُلْفُه، وخلف الوعد من الصفات الذميمة، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[4] فإذا انتشر خلف الوعد في أي مجتمع خاب هذا المجتمع، وخسر دنياه وآخرته.

(١) رواه مسلم في كتاب - الإيمان - الحديث (٥٠٧)، والبخاري في كتاب - التفسير - الحديث (٤٨٠) و(٤٩٧)، والترمذي في كتاب - تفسير القرآن - الحديث (٣٣٦٣).

(٢) سورة مريم الآية : ٥٤ .

(٣) سورة الصافات الآية : ١٠٢ .

(٤) رواه البخاري في كتاب - الإيمان - الحديث (٣٣)، ومسلم في كتاب - الإيمان - الحديث (٢٠٨)، والترمذي في كتاب - الإيمان - الحديث (٢٦٣١)، والنسائي في كتاب - الإيمان - الحديث (٥٠٣٦).

**المفهوم الثاني : الآباء والأمهات أحق الناس بالإخلاص في النصيحة**

دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام والده أول من دعى إلى الله عز وجل، وفي ذلك يقول ابن كثير رحمه الله: كان أول دعوته لأبيه، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له[1]، كيف لا وهو أقرب الناس له، وألصقهم به، فَمِنَ ٱلبِرِّ به أن يُرْشِدَهُ إلى الطريق المستقيم، ويبين له المنهج القويم، وعاقبة الإيمان، وعاقبة الكفر، كي يكون على بصيرة من أمره، وهذا مافعله الرسول ﷺ أيضاً، فحينما نزل عليه قوله سبحانه: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾[2]. دعا أهله وأقرباءه أول ما دعى.

لذلك فإنه من الواجب على أصحاب الدعوات والمربين البدء بأقاربهم أولاً. الأقرب فالأقرب. كما قال ﷺ «ابدأ بمن تعول»[3] حتى تبرأ ذمتهم إلى الله عز وجل من التفريط في حق الأهل.

**المفهوم الثالث : اتباع اللطف واللين وحسن الأدب في الدعوة إلى الله**

اتبع سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه أسلوباً في غاية اللطف واللين، وتكلم معه من صميم قلبه، وبذل قصارى جهده ليثنيه عن عبادة الأصنام، ويهتدي إلى الخير الذي هداه الله عز وجل إليه، وعلمه إياه. وتحبب إليه، فخاطبه مُصَدِّراً كلامه له بكلمة (يا أبت) مكرراً إياها عدة مرات التي

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤١/١).

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

(٣) هو جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب - الزكاة - الحديث (١٤٢٦) عن أبي هريرة، ومسلم في كتاب - الزكاة - الحديث (٢٣٨٥)، والترمذي في كتاب - الزهد - الحديث (٢٣٤٣)، وأحمد (٢٦٢/٥) كلهم من حديث أبي أمامة.

تشعر أباه بالصلة القلبية التي بينه وبين ابنه إبراهيم عليه السلام (فيستثير عطفه، ويشعره بقربه ووده، ليوصل كلمه إلى قلبه، وأطنب سيدنا إبراهيم عليه السلام في ذلك وأطال لمقتضى الواقع والحال، وكرر النداء بوصف الأبوة تأكيداً لإحضار الذهن، والتأثير في المشاعر، وكل أب يود أن يرى ويسمع من ابنه ما يُقر عينه، ولإمحاض النصح، والابن غير متهم في نصيحة أبيه، وإرادة الخير له)[1].

وفي هذا الأسلوب الذي اتبعه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه تعليم وتوجيه للمربين والأبناء يجب عليهم اتباعه عند توجيههم لمن هو أكبر منهم، فيوجهوهم بأدب واحترام وتقدير، كي يستجيبوا لتوجيهاتهم.

كما يجب عليهم أن يتخيروا الأسلوب المناسب للتربية والتوجيه والدعوة، ولمن يدعونهم، فإن مخاطبة المدعوين بما يناسبهم له أكبر الأثر في استمالة قلوبهم للاستماع للنصح والتوجيه، ومن ثم انتفاعهم بما يسمعون إن شاء الله تعالى، وهذا من الحكمة في الدعوة والتربية والتوجيه، وقد أمر الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

---

(١) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص ٣٨ بتصرف.

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

حَمِيمٌ ﴾[1]. فبحسن الأدب يصبح العدو صديقاً، والبعيد من الهداية قريباً منها، وكما أن لكل شيء أسباباً فللهداية أيضاً أسباب، وأول أسبابها الأسلوب الحسن اللطيف[2]، ولذلك خاطب الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ قائلا له: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3].

**المفهوم الرابع : استعمال الألفاظ المحببة إلى النفس في التربية وفي الدعوة إلى الله**

ينبغي على المربين والدعاة أن يكرروا استعمال الألفاظ المحببة إلى النفس مع المدعوين كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد كرر في ندائه لأبيه عدة مرات (يا أبت) ليستثيروا عواطفهم ويشعرونهم بقربهم منهم، كي يصل كلامهم إلى قلوبهم.

ومن التلطف في التربية وفي الدعوة أيضاً ألا يبدأ المربي بتسفيه آراء أو معتقدات المقصود بالتربية أو الدعوة. كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام، فلم يبدأ بتسفيه معبودات أبيه، ولاتحقير آلهته كي لاينفر منه ابتداء، ويقطع الحوار قبل استرساله، بل رتبه أحسن ترتيب، وساقه أحسن مساق، فنبهه إلى عبادته بصيغة الاستفهام، ليتبين بنفسه خطأ عمله، وسوء فعله ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا

---

(١) سورة فصلت الآية : ٣٤ .

(٢) القصص القرآني ص ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

﴿ لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ ﴾ وهو أمر محسوس مشاهد، أي: فكيف يعزب عن عقلك مثل هذا، ويذهب حلمك ورأيك؟ فآلهتك لا تقدم نفعاً، ولاتدفع ضراً، وهذا انتقال إلى درجة أسمى من المحسوس إلى المعاني والمجردات.

**المفهوم الخامس : الترفق والتَّرقُّق في التربية والدعوة**

في قول سيدنا إبراهيم لأبيه: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾. ما يفيد أنه عليه السلام كأنه خاف نفور أبيه من تلقي العلم عنه استصغارا لسنّه، أو احتقارا لشأنه، فثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً متلطفاً به، فلم يَسِمْ أباه بالجهل المفرط، ولا الغباوة وقصر النظر، ولم يدَّعِ لنفسه العلم الفائق والتميز، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم ليست معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستنكف يا أبت من قبول قولي ونصحي لك، وهب أنا وأنت في مسير وعندي معرفة بالطريق، فمصلحتك تقتضي أن تتبعني لتنجو من الضلال والتيه[1].

وفي هذه اللفتة من سيدنا إبراهيم عليه السلام درس للدعاة والمربين والمصلحين. يعلمهم هذا الدرس أنه من الواجب عليهم ألا يتحدثوا عن أنفسهم أكثر من حديثهم عن الدعوة، ولايتعالوا على الآخرين عند مناظراتهم لهم، ولايغضبون لأتفه الأسباب، ولايستولي الحقد على قلوبهم، وينبغي عليهم أن يبذلوا كل ما في وسعهم لتربية مريديهم، ودعوتهم إلى الحق في أدب وتواضع وصبر على المكاره، وتحمل للمشاق والمصاعب، متسمين بسعة الصدر، لايغضبون إلا لله وفي الله فقط، ولايحسدون ولايحقدون.

(١) تفسير القاسمي (١١/١٢٩).

كما أن فيها أيضاً توجيه للمربين والمصلحين إلى القيام بواجب البر والإحسان تجاه الآباء والأمهات، وبواجب صلة الرحم نحو الأقارب، وذلك من خلال أمرهم بعبادة الله وحده، وترك كل ما هو باطل وضلال، وأن يكون ذلك بالدعوة المغلفة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى، مع وضوح وصراحة في كل ما يقولونه لهم.

**المفهوم السادس : أسلوب التدرج في التربية والدعوة والنصح**

ترفق سيدنا إبراهيم عليه السلام مع والده في دعوته ليقطع ما بينه وبين الأصنام، فنسبها إلى الشيطان، لأنها من تسويله ووساوسه، وكرر ذكر الشيطان ﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** ﴾[1]. زيادة في التنفير، وتأكيداً في البلاغ، وتزهيداً بهذا الواقع الضال المظلم.

ونلاحظ في كلام سيدنا إبراهيم - عليه السلام - هنا تطوره في الأسلوب وتدرجه، ففي الآية السابقة قال لوالده: ﴿ **لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾[2]. فقد أخرج استفهامه في طريقة لطيفة تقترب من الاستفهام التنبيهي، وبهذا الاستفهام يوقع الحجة بحسن أدب، فهو لم يصرح بضلاله، بل طلب العلة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصحيح؛ فإن الأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى وأعلم وأقوى منه، وأن يرفعها إلى مقام أسمى وأسنى من مقامه، فكيف يتوجه بها إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان. لايسمع ولايبصر ولايملك ضراً

(١) سورة مريم الآية : ٤٤ .

(٢) سورة مريم الآية : ٤٢ .

ولانفعاً، والشيء ولو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على النفع والضر ولكن كان ممكناً لاستنكف العقل القويم على عبادته، وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين، لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة[1]. وفي استفهام سيدنا إبراهيم عليه السلام عن سبب العبادة لَفْتٌ للنظر عميق، يبعث على الشك والبحث[2]. وهذا أسلوب جيد في نقض الدعاوى الباطلة التي يتمسك بها أهل الضلال، لأن بعث الشك في النفس الضالة مما هي متمسكة به طريق إلى بحثها عن البديل الحق الذي ينبغي أن يتوجه إليه.

كما أن فيه أيضاً تعليم لنا كيفية دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهو سلوك سبيل الإقناع العقلي أولاً؛ إذ أن هذا الصنف من المدعوين غير مؤمن أساساً بكل ما عند المؤمنين بالله من الكتاب والسنة، وبالتالي فلن يستجيب إذا ذُكِّر ببعض الآيات أو الأحاديث، فلابد من إقامة البرهان والحجة العقلية أولاً، ثم يتبع ذلك الاستشهاد بما تيسر من الكتاب والسنة.

وفيه كذلك تعليم للمربين والدعاة بتطوير أسلوب الدعوة والتربية والتدرج في النصح، فسيدنا إبراهيم عليه السلام انتقل في دعوة والده من الاستفهام الإنكاري المغلف بطريقة لطيفة تقترب من الاستفهام التنبيهي حين قال لوالده: ﴿ **لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ . . . . .الخ** ﴾ إلى مرحلة النهي الصريح له عن عبادة الشيطان ﴿ **يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ** ﴾. ولايخفى أن قوله عليه

(١) تفسير البيضاوي (٨/٤) وفي ظلال القرآن (٢٣١١/٤) وتأملات في سورة مريم، حسن محمد باجودة (٨٧، ٨٨).

(٢) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي (١٠/٢) مجلد (٢) والقصص القرآني ص٧٧، ٧٨ .

السلام هذا لوالده مازال يتمشى مع ما عرف به من حلم، ومع فكرة التدرج التي يسير عليها في حديثه.

وذلك لأن التدرج في التربية والنصح والدعوة مطلوب، فينبغي على المربين أن يضعوا منهجاً يستخدمونه ويسيرون عليه في مهمتهم يتسم بالتدرج، ويقسموه إلى مراحل، كل مرحلة توصل إلى التي بعدها، دون حدوث فجوات بين هذه المراحل، وأن يعتمدوا عند تنفيذهم لهذه المراحل بعد اعتمادهم على الله عز وجل على أساليب تتلاءم مع كل مرحلة من مراحل التربية أو الدعوة، كي ينجحوا في مهماتهم، ويتقبلها المتلقون.

**المفهوم السابع : إظهار الشفقة والرحمة بمن نقوم بتربيتهم أو دعوتهم**

في نهاية نصيحة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وبعد أن قدم له ماقدم من نصائح تدفعه دفعاً لترك عبادة الشيطان، والتزام عبادة الرحمن، يقول عليه السلام له: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾. وهذا من سيدنا إبراهيم عليه السلام يدل على مدى الشفقة والرحمة منه على أبيه. ومدى الخوف عليه من أن يمسسه عذاب الله حتى ولو كانت كمية العذاب التي ستناله محدودة، فإنه يخاف عليه. ولذلك فإنه ينبهه ويخوفه من الطريق الذي يسير فيه، ويبين له سوء المنقلب إن ظل على ما هو عليه.

وفي هذه الآية ما يدل على حسن التربية، ورفيع الأدب من إبراهيم عليه السلام تجاه أبيه، فإنه عليه السلام لم يواجه أباه بأن العذاب لاحقه، والعقاب مدركه، بل أبدي تخوفه عليه، وأظهر جزعه وعواطفه بِرًّا بِأَبِيهِ، واستعطافاً

لقلبه، وتأدباً معه.

وبعد فما أحوج المربين والدعاة إلى حسن التربية، والتزام الأدب في التربية وفي تبليغ الدعوة، وما أحوجهم إلى الالتزام بفضيلة الرفق في تعاملهم مع المدعوين كما اتبعها الأنبياء والرسل في تبليغ دعوتهم، وعلى رأسهم سيدنا إبراهيم عليه السلام، وسيدنا محمد ﷺ الذي قال لعائشة رضي الله عنها: «ياعائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لايعطي على العنف ومالا يعطي على ماسواه»[1]. وذلك لأن الرفق يقرب النفوس والقلوب، ويجعل متبعه محبوباً لدى الناس، أما العنف فإنه ينفر النفوس، ويورث البغضاء والكره، و«الرفق - كما قال الرسول ﷺ لعائشة رضي الله عنها - لايكون في شيء إلا زانه، ولاينزع من شيء إلا شانه»[2].

(وهكذا يتبين لنا مما سبق أن سيدنا إبراهيم عليه السلام في حديثه مع أبيه آزر لم يعرض لجانب واحد من القضية، إنما عرض لقضية كاملة ذات جوانب متعددة، في طريقة من الكلام جميلة، تدل على علم وحلم وبر)[3] سالكاً في أسلوبه أقوم ما يمكن أن يقوم به مُرَبٍّ وداعية، فهو يبدأ بأقرب الناس منه، وهو والده، مناديا إياه بلفظ محبب (ياأبت) ثم دعاه إلى نبذ الأصنام، مبيناً مافيها من نقص وعيب يسلبها أبسط صفات التقدير، فهي لاتسمع ولاتبصر، وإذا كان شأنها كذلك فهي لاتغني عن نفسها شيئاً، فكيف تغني عن غيرها؟ وقد بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام بالبرهان العقلي الذي

(١) رواه مسلم في كتاب - البر - الحديث (٦٥٤٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب - البر - الحديث (٦٥٤٥).

(٣) القصص القرآني ص ٨٢ .

لايختلف فيه اثنان حتى تقوم به الحجة على الخصم. وقد ذكر كل ذلك عن آلهتهم المزعومة ليثير بذلك حفيظته، علَّهُ يطلب منه أن يدله على الإله الكامل الذي لايعتوره نقص، أو يقر بعجز آلهته، ويعترف بما فيها من نقص، ثم انتقل بعد ذلك إلى تدعيم البرهان الذي ساقه بأنه لم يذكر ذلك جزافاً بغير علم، وإنما هو يتحدث بعلم قد آتاه الله إياه، فعنده من العلم ما ليس عند من يخاطبه، وحيث عنده من العلم ما ليس عند غيره فالواجب على من يدعوهم أن يتبعوه ليهديهم سواء الصراط.

ثم يأتي بعد ذلك دور التحذير والتخويف، والعاقبة السيئة للمستمرين على الغي الذي هم فيه، فيذكرهم بعذاب الله ونقمته، ليكون ذلك أوقع في نفس المدعو، فيسرع بالإجابة، وينصرف عن التسويف والمراوغة. وبذلك يكون سيدنا إبراهيم عليه السلام قد بذل أقصى جهده في النصح والتبليغ[1].

ولذلك فإن عرضه الجميل المنطقي المتدرج أثَّر على والده، وكفانا دليلاً على ذلك أنه ترك لابنه الفرصة كاملة كي يقول كل ما عنده، ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة، دون أن يحمل هذا الأب المفتون بآلهته على أن يقاطع ابنه أثناء حديثه، فضلاً عن أن يبطش به، على الرغم من أنه يهاجم الآلهة التي لها المنزلة الرفيعة في نفس آزر، وهو لم يصرح برغبته عن الآلهة فقط، ولكنه نص على البديل الحق، وتعرض كذلك لعدو الإنسان: الشيطان الرجيم، وتعرض أيضا للبعث والنار والجزاء ... وهكذا[2].

---

(١) نظرات في أحسن القصص (١/١٥٢، ١٥٣) بتصرف.

(٢) تأملات في سورة مريم لحسن باجودة ص ٩٦ .

**المفهوم الثامن : ينبغي الاهتمام بأمور الأهل الدينية أكثر من الاهتمام بأمورهم الدنيوية**

مما مدح الله عز وجل به سيدنا إسماعيل عليه السلام أنه ﴿ **كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ** ﴾ ومعنى ذلك أنه عليه السلام كان مهتماً بأهله وبأمور دينهم، فهو كما يقول الإمام الرازي رحمه الله: (وكان نظره لهم في الدين يغلب على شفقته عليهم بالدنيا بخلاف ما عليه أكثر الناس)[1]. فعلى الدعاة والمربين والمصلحين والموجهين الناس للخير أن يذكروا المسلمين بواجبهم نحو بيوتهم وأهليهم، وذلك بأن يحملوهم على طاعة الله والالتزام بشرعه، وأن يكون اهتمامهم بهم في أمورهم الدينية أكثر من اهتمامهم بأمورهم الدنيوية والمعيشية، وهذا مما أمر الله به المؤمنين نحو أسرهم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...** ﴾[2] وإنما تكون وقايتهم من النار بحملهم على طاعة الله، ومنعهم من عصيان شرع الله. وعليهم أن يذكروا المسلمين بواجبهم نحو أهليهم بأن يراقبوهم ويعلموهم أمور دينهم، ويأمروهم بالالتزام بأمور الشرع، وأن يربوا أولادهم على معاني الإسلام وأحكامه، وأن يدربوهم على ذلك[3]. جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ بشأن الأولاد الصغار وتعليمهم الصلاة «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر»[4]. فيجب ضربهم إذا بلغوا من العمر

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٣٢/٢١).

(٢) سورة التحريم الآية : ٦ .

(٣) المستفاد من قصص القرآن (٢٢٧/١).

(٤) أخرجه أبو داود في - الصلاة - الحديث (٤٩٥)، والحاكم في المستدرك (٣١١/١) الحديث=

عشر سنوات ولم يؤدوا الصلاة. فإذا لم يفعل ذلك يكون مقصراً في حق الأهل والأولاد.

هذا ومن أوكد الواجبات على الآباء أيضاً أن يهتموا بأمور العقيدة الصحيحة، فينشئوا الأولاد عليها، ويوصوهم بها في كل أطوار حياتهم، حتى يلقوا ربهم، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يوصي بها أبناءه قبل موته، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[1].

وإذا ربىّ الآباء أولادهم على العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة أخرجوا للمجتمع أجيالاً صالحة مصلحة ترقى بمجتمعهم، وتنشر فيه الفضيلة والأخلاق الكريمة. كما أن هؤلاء الأَبْنَاء يربون أبناءهم على مَارُبُّوا عليه، وهكذا دواليك إلى يوم القيامة، ويكون عمل هؤلاء الأبناء استمراراً لعمل الآباء، فيكون الثواب والأجر متصلاً حتى بعد رحيلهم عن الدنيا.

ولعل من المناسب في هذا المقام أن نذكر هنا ما استنبطه الفخر الرازي رحمه الله من وصية سيدنا إبراهيم عليه السلام هذه.

إذ يقول:

اعلم أن هذه الحكاية اشتملت على دقائق مرغبة في قبول الدين:

أحدها: إنه تعالى لم يقل: وَأَمَرَ إبراهيم، بل قال: ووصى ... ولفظ

= (٧٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٢٢٩/٢) الحديث (٣٠٥١)، والدار قطني في سننه (٢٣٠/١) الحديث (٢)، وأحمد (١٨٧/٢).

(١) سورة البقرة الآية : ١٣٢ .

الوصية أوكد من الأمر، لأن الوصية عند الخوف من الموت، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لدينه أشد وأتم، فإذا عرف أنه عليه السلام في ذلك الوقت كان مهتماً بهذا الأمر متشدداً فيه، كان القول إلى قبوله أقرب.

ثانيها: إنه عليه السلام خصص بنيه بذلك، وذلك لأن شفقة الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلما خصصهم بذلك في آخر عمره علمنا أن اهتمامه بذلك كان أشد من اهتمامه بغيره.

ثالثها: إنه عمم بهذه الوصية جميع بنيه ولم يخص أحداً منهم، وذلك يدل على شدة الاهتمام.

رابعها: إنه عليه السلام أطلق هذه الوصية غير مقيدة بزمان معين، ومكان معين، ثم زجرهم أبلغ الزجر عن أن يموتوا غير مسلمين، وذلك يدل -أيضاً - على شدة الاهتمام بهذا الأمر.

خامسها: إنه عليه السلام ما مزج بهذه الوصية وصية غيرها، وهذا يدل على شدة الاهتمام بالأمر. ولما كان إبراهيم عليه السلام هو الرجل المشهود له بالفضل، وحسن الطريقة، وكمال السيرة، ثم عرف أنه كان في نهاية الاهتمام بهذا الأمر، عرف حينئذ أن هذا الأمر أولىَ الأمور بالاهتمام، وأحراها بالرعاية والقبول[1].

---

(١) مفاتيح الغيب (٤/٧٢، ٧٣).

**المفهوم التاسع : صدق الدعاة والمصلحين والمربين وثباتهم يجعل أرواحهم تسمو على آلام أجسادهم**

إن ثبات الأنبياء والمؤمنين والدعاة المخلصين والمصلحين والمربين على عقيدتهم بعد أن ينزل بهم الأشرار والضالون أنواع العذاب والاضطهاد، دليل على صدق إيمانهم وإخلاصهم، في معتقداتهم، وسمو نفوسهم وأرواحهم، بحيث يرون ماهم عليه من راحة الضمير، واطمئنان النفس والعقل، وما يأملونه من رضا الله عز وجل شأنه أعظم بكثير مما ينال أجسادهم من تعذيب وحرمان واضطهاد.

إن السيطرة في الأنبياء والدعاة المخلصين والمؤمنين الصادقين، تكون دائماً وأبداً لأرواحهم لا لأجسادهم، وهم يسرعون إلى تلبية مطالب أرواحهم من حيث لا يبالون بما تتطلبه أجسامهم، من راحة وشبع ولذة، وبهذا تنتصر الدعوات، وبهذا تتحرر الجماهير من الظلمات والجهالات[1].

**المفهوم العاشر : سعادة الآباء والمجتمعات في النسل الصالح**

دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يرزقه ولداً يعينه على أمر دعوته، ورجاه أن يكون صالحا، لأن صفة الصلاح أفضل الصفات وأشملها وأكرمها، فهي جماع الخير كله، ولذلك فإنه عليه السلام طلبها لنفسه ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾[2]. وطلبها لولده ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ**

---

(١) السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي ص ٥٧ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٨٣ .

﴿الصَّالِحِينَ﴾[1] وطلبها سيدنا سليمان عليه السلام لنفسه بعد كمال درجته في الدين والدنيا ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

فينبغي على من يطلب الولد من ربه أن يدعو الله عز وجل بأن يكون الولد المرزوق به صالحاً، لأن ذلك من صفات عباد الرحمن، قال تعالى في معرض عَدِّ صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3]. وقرة العين بالأولاد لاتكون إلا إذا كانوا صالحين.

والولد الصالح كما ينفع نفسه فإنه ينفع أهله بعد موتهم، فقد قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[4].

**المفهوم الحادي عشر: الحلم من أشرف الصفات للأفراد وألزمها للدعاة**

وصف الله عز وجل سيدنا إسماعيل عليه السلام بصفات عدة من أهمها الحلم، والحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من سلامة العِرْض، وراحة الجَسَدِ، واجتلاب الحَمْدِ.

والحلم كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله: أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم، أي: تكلف الحِلْمِ، ولايحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غَيْظُهُ، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك صار ذلك

(١) سورة الصافات الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النمل الآية: ١٩.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٧٤.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في - الوصية - الحديث (٤١٩٩) والترمذي في - الأحكام - الحديث (١٣٧٦)، والنسائي في - الوصايا - الحديث (٣٦٥٣)، وأحمد (٢/٣٧٢).

اعتياداً فلا يَهِيجُهُ الْغَيْظُ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ، وهذا هو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل، واستيلائه، وانكسار قوة الغضب، وخضوعها للعقل، ويكون ابتداؤه التحلُّم وكَظْم الغيظ تَكَلُّفاً، وَيَعْتَادُ ذلك حتى يصير خُلُقاً مُكْتَسَباً[1].

والحِلْمُ كما يقول الجاحظ: محمود مالم يؤدِّ إلى ثَلْمِ جاه، أوْ فَسَاد سياسة[2]، وقال ابن حبان رحمه الله في الحلم: الحلم أجمل مايكون من المقتدر على الانتقام، وهو يشتمل على المعرفة والصبر والأَنَاةِ والتثبت، ومن يتصف به يكون عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأجر، مَرْضِيَّ الْفِعْلِ، ومن أَجْلِ نَفَاسَتِهِ تسمى الله به فَسُمِّيَ حليما[3].

فما أجمل التزام الإنسان بالحلم، وما أجمل التخلق به، وغرسه في نفوس من نربيهم ونعلمهم.

وما أجمل الابتعاد عن الفظاظة وغلظة القلب الناتجان عن انعدام صفة الحلم في الإنسان، لأن الفظاظة والغلظة يسببان النفور، ويؤديان إلى توارث العداوة، والقضاء على روح التقبل للخير عند الناس، وعزل الدعاة عن العامة، مما يؤدي إلى تأخر مسيرة الدعوة، وبذلك يتملك اليأس والقنوط قلوب الناس[4]. قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**

(١) إحياء علوم الدين (١٧٦/٣) بتصرف.

(٢) تهذيب الأخلاق ص ٢٣ .

(٣) روضة العقلاء (٣٠٨).

(٤) أخلاق الداعية للأستاذ عبدالله ناصح علوان ص ٣٦ بتصرف.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1].

لذلك فما أحوجنا إلى نشر صفة الحلم بين الناس، وتنشئة الناشئين عليها، حتى يعم العفو والصفح بين المجتمع وأفراده، فتنتشر المحبة والمودة والرحمة، ويعم الأمن والأمان والاستقرار، مما ينتج عنه غفران الله عز وجل ذنوب من يحلم، ومن يعفو، ومن يصفح، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

**المفهوم الثاني عشر: تقديم أوامر الله تعالى على المصالح الدنيوية العاجلة**

في موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام بالتزامه أمر الله عز وجل، ووضع زوجه وابنه الرضيع في مكان قفر وحدهما، ليس معهما إلا الله عز وجل، رغم أن الأولاد فتنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3]. وهم زينة الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4]. نقول في موقفه هذا، وتنفيذه أمر الله سبحانه وتعالى بتركهما وحيدين تعليم للمسلمين إلى يوم الدين بتقديم أوامر الله سبحانه وتعالى على كل شيء، على النفس، وعلى الأهل، وعلى الولد، وتعليم لهما أيضاً بغرس الثقة المطلقة في الله عز وجل في النفوس، والاعتقاد الجازم بأنه طالما أن الإنسان ينفذ ما أمره الله سبحانه وتعالى فإن الله عز وجل سيكون بجانبه لامحالة، ومنقذه

(١) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

(٢) سورة النور الآية : ٢٢ .

(٣) سورة التغابن الآية : ١٥ .

(٤) سورة الكهف الآية : ٤٦ .

لاشك في ذلك، وصارف همه وغمه وكربه لاريب في ذلك أيضاً ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]. وفي موقف السيدة هاجر أيضاً وسؤالها لزوجها (آلله أمرك بهذا) دليل على إيمانها الكامل، ويقينها المطلق في الله، وثقتها فيه، واعتمادها عليه، ولذلك قالت: (إذاً لايضيعنا الله). وفيه أيضاً تعليم للنساء أن يعتقدن بما كانت تعتقد به هذه السيدة الكريمة، وأن يثقن في الله عز وجل، ويتوكلن عليه سبحانه وتعالى، حتى يُساعدن أزواجهن على أعباء الحياة، وعلى القيام بواجبهم تجاه دينهم وعملهم، وحتى يربين أولادهن وبناتهن، وينشئنهن على الإيمان بالله، والثقة فيه، والتوكل عليه، فيخرجن للمجتمع أفراداً الإيمان ديدنهم، والثقة منهجهم، والتوكل على الله مذهبهم، فيصبح المجتمع مجتمع إيمان بالله، واثقا في أوامره، ومتوكلا عليه في كل الأمور والأحوال.

**المفهوم الثالث عشر : العبودية لله تقتضي التزام أمره والاعتماد عليه وحده**

في توجه سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ربه بالدعاء متضرعاً إليه بعد ترك زوجه وولده ومعهم بعض التمر والماء - مستغرقاً في هذا التضرع - دليل على الانسياق الكامل لله عز وجل، والاعتماد عليه، واللجوء إليه وحده، وكل ذلك ناتج عن العبودية المطلقة لله التي خلق الإنسان من أجلها، والتي من وظيفتها الدعاء والتضرع والأخذ بالأسباب، فالمؤمن في هذه الحياة ما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب والوسائل في كل الأمور والأحوال، ثم يكون مع ذلك عَبْداً لله طبعا واختياراً، معتمداً على الله في كل الأمور والأحوال، متقرباً إليه

(١) سورة محمد جزء من الآية : ٧ .

بالعبودية الكاملة له، لاجئاً إليه بالدعاء والتضرع . حتى يستجيب الله عز وجل له فينجز له وعده، ويحقق له هدفه. وفي لجوء المسلم إلى الدعاء والتضرع منتهى العبودية والخضوع والتذلل لله عز وجل، وفيه أيضاً اعتقاد الداعي بأن كل شيء يقضى في هذه الحياة بأمر الله وإرادته. هذا وقد التزم الأنبياء والرسل عليهم السلام بالدعاء إلى الله عز وجل في أمورهم وأحوالهم، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن ترك زوجه ووحيده في أرض قاحلة لازرع فيها ولاماء، بل ولاناس يتوجه إلى ربه بالدعاء قائلا له: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾[1]. فطلب من الله عز وجل أن يعينهم على الصلاة، وأن يجعل الناس تهوى إليهم، وأن يرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، واستجاب الله عز وجل لدعاء سيدنا إبراهيم، وتحقق كل ما رجاه من ربه سبحانه وتعالى، وهذا سيدنا محمد ﷺ يدعو ربه بعد أن نظم صفوف جيشه أثناء غزوة بدر قائلاً في دعائه «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض أبداً» ومازال ﷺ يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه سيدنا أبوبكر وَرَدَّهُ على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك وعدك[2]. وأنزل الله عز وجل ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾[3]. وفي رواية ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر «اللهم أنشدك

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم في - الجهاد - الحديث (٤٥٦٣).

(٣) سورة الأنفال الآية : ٩ .

عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبوبكر بيده، فقال: حسبك الله، فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[1].

وهذا درس رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده، والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه وتعالى، لكي يجعل الله عز وجل له من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ويرزقه من حيث لايحتسب.

وهكذا يكون المؤمن الواثق المطمئن إلى قدر الله الذي ملئ قلبه يقيناً بالله، يترك أهله وولده طاعة لله، ثم يستودعهما الله الذي لاتضيع ودائعه، ويدعو لهما بالصلاح في الدين والدنيا، والله خير مجيب لعبده وخليله ونبيه الكريم.

**المفهوم الرابع عشر : امرأة مؤمنة تعلم الأجيال دروس الصبر والثبات والتوكل على الله**

استجاب الله عز وجل لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ففجر بئر زمزم ليشرب منه سيدنا إسماعيل وأمه، بعد أن نَفدَ ما معهما من الماء، وبعد أن سعت السيدة هاجر بين الصفا والمروة سبع مرات بحثاً عن الماء، وفي هذا نلحظ:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى يستجيب الدعاء لمن دعاه، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ

(١) أخرجه البخاري في - المغازي - الحديث (٣٩٥٣)، والآية من سورة القمر : ٤٥ .

(٢) سورة النمل الآية : ٦٢ .

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]. وقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3].

ثانياً: ونلحظ أيضاً عطف الأم وحنانها على وليدها حين قامت تبحث بلهفة عن الماء لإرواء عطش ابنها، ولذلك فإن الشرع الحنيف قد أوصانا ثلاث مرات بالبر بالأم، أما الأب فقد أوصانا به مرة واحدة، وذلك حتى لايتساهل الأبناء في حقها، ولايتغاضوا عن احترامها وإكرامها.

ثالثاً: لما كان للسيدة هاجر من مكانة عظيمة عند الله عز وجل، وذلك لتوكلها على الله، واعتمادها عليه، وثقتها فيه سبحانه وتعالى، واطمئنانها على نفسها وولدها بعد علمها أن الله عز وجل هو الذي أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام بتركها هي ووليدها في هذا الوادي الذي لا أنيس فيه ولا جليس، وقولها له «إذاً لايضيعنا» لذلك فقد كافأها الله سبحانه وتعالى بنبع الماء من بئر زمزم، وبحوم الطيور حول البئر، وبنزوح الناس إلى المكان الذي كانت فيه، وعيشهم معها. كما أنه سبحانه وتعالى كافأها أيضاً وكرمها بأن جعل الناس يسعون بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، كما كانت تسعى رَضِيَ الله عنها. فأية مشاركة شعورية ووحدة مصير أعظم من أن يهرع المسلمون من كل فج عميق، ليعيشوا مع هاجر بقلوبهم وعواطفهم وحركاتهم.

(١) سورة غافر الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية : ٥٦ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٦ .

قال الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله:

«وخلد الله عز وجل هذه الحركة الاضطرارية، التي ظهرت من امرأة مؤمنة مخلصة - أي سعيها بين الصفا والمروة بحثاً لوليدها عن الماء كي تروي ظمأه - فجعلها حركة اختيارية، يكلف بها أعظم العقلاء، وأعظم الفلاسفة والنبغاء، وأعظم الملوك والعظماء، في كل عصر، وفي كل جيل، فلايتم نسكهم إلا بالسعي بين هذين الجبلين اللذين هما ميقات كل محب، وغاية كل مطيع، والسعي خير ممثل لموقف المسلم في هذا العالم، فهو يجمع بين العقل والعاطفة، وبين الجنس والعقيدة، إنه يستعين بالعقل، ويستخدمه في مصالح حياته، ولكنه ينقاد أحياناً للعاطفة، التي هي أعمق من العقل، إنه يعيش في عالم قد حُفَّ بالشهوات، ومُلِئَ بالزخارف والمظاهر، لكنه يمر بينَها، كالساعي بين الصفا والمروة، لايعرِّج على شيء، ولايتقيد بشيء، إنما غايته وهمه مايستقبله، يعتبر حياته أشواطاً محدودة، يقطعها إطاعة لربه، واقتداء بسلفه، لايمنعه إيمانه عن البحث والسعي، ولايمنعه سعيه عن التوكل على الله والثقة به، حركة قيمتها وروحها ورسالتها «الحب» و«الانقياد»[1].

## المفهوم الخامس عشر: إقامة الصلاة محط اهتمام الأنبياء والصالحين

مرة أخرى نعود إلى دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي مَرَّ سابقا، فنجد أنه عليه السلام قال: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾[2]. أي: أنه أسكن بعض أبنائه بهذا الوادي المجدب

(١) الأركان الأربعة للأستاذ أبو الحسن الندوي ص ٢٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٣٧ .

المقفر المجاور للبيت المحرم، ثم يذكر الوظيفة التي أسكنهم في هذا القفر الجدب ليقوموا بها، وهي ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾[1]. فهذا هو الذي من أجله أسكنهم هناك، وهذا هو الذي من أجله يحتملون الجدب والحرمان، ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[2]. وفي تعبير سيدنا إبراهيم هذا رقة ورفرفة، تصور القلوب رفافة مجنحة، وهي تهوى إلى ذلك البيت وأهله، في ذلك الوادي الجديب، إنه تعبير نديّ يُنَدِّي الجدب برقة القلوب. ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾[3]. عن طريق تلك القلوب التي ترف عليهم من كل فج .. لماذا؟ أليأكلوا ويطعموا ويستمتعوا؟ نعم! ولكن لينشأ عن ذلك ما يرجوه إبراهيم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[4].

وهكذا يبرز السياق هدف السكن بجوار البيت الحرام ... إنه إقامة الصلاة على أصولها كاملة لله، ويبرز هدف الدعاء برفرفة القلوب وَهَوِيِّهَا إلى أهل البيت، وَرِزْقِهِمْ من ثمرات الأرض .. إنه شكر الله المنعم الوهاب.

وفي ظل هذا الدعاء تبدو المفارقة واضحة في موقف قريش جيرة البيت الحرام .. فلا صلاة قائمة لله، ولا شكر بعد استجابة الدعاء، وهويٌّ القلوب والثمرات، ويعقب سيدنا إبراهيم عليه السلام على دعاء الله لذريته الساكنة بجوار بيته المحرم لتقيم الصلاة وتشكر الله ... يعقب على الدعاء بتسجيله لعلم الله الذي يطلع على ما في قلوبهم من توجه وشكر ودعاء، فليس القصد هو المظاهرات والأدعية والتصدية والمكاء، إنما هو توجه القلب إلى الله الذي

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سورة إبراهيم الآية : ٣٧ .

يعلم السر والجهر، ولايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[1] ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[2].

**المفهوم السادس عشر : استشارة الأبناء في الأمور المهمة**

في عرض سيدنا إبراهيم عليه السلام على ابنه رؤياه مُصَدِّراً كلامه له بقوله ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾ دليل على شفقته عليه وعطفه، ورحمته به، واهتمامه بشأنه، ومراعاته لشعوره، وفي قوله له ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ أراد أن يستشير ابنه في هذا الأمر (ليبين أن له حَظاً من الرفض والقبول، وليرى في مشورته لابنه مقدار طاعة هذا الابن لأمر ربه، وليحصل له بهذا الرضى والامتثال مرتبة بذل نفسه في إرضاء الله)[3]، (وليستخرج منه ذكر التفويض والصبر والتسليم لأمر الله، لا لمداراته لدفع أمر الله تعالى، فجمع له الذبيح عليه السلام جميع ما أراد بهذه اللفظة اليسيرة)[4] ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾.

كما أن في هذا القول أيضاً تهيئة لسيدنا إسماعيل عليه السلام لتقبل ما يعرضه بكل سرور وترحيب، وفيها أيضاً زيادة في الرأفة، وحسن العرض، وفيها كذلك تواضع من الأب لابنه، وهذا لاشك أنه من أساليب التربية الصحيحة، إذ أن الأب بهذا الأسلوب يعطي ابنه ثقة في نفسه، ويجعل له

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢١٠٩، ٢١١٠).

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٣٨ .

(٣) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص ٣٠ .

(٤) الدر المنثور للسيوطي (٥/٢٨٢).

شخصيته القادرة على اتخاذ القرار المناسب[1].

**المفهوم السابع عشر: الإيمان الحق يقتضي الرضا بقضاء الله وقدره، والتضحية بكل شيء من أجله**

يظهر لنا في الحوار الذي جرى بين سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إذ قال الأب: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾[2]. فأجاب الابن: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[3]. نقول: يظهر لنا في هذا الحوار حقيقة الإيمان من الأب وابنه، فليس الإيمان مجرد شعارات ولا ادعاءات بالألسن، إنما هو اندماج كلي في إرادة الله التي تتركز في العمل بأوامره، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيله. فإبراهيم عليه السلام يضحي بوحيده، وإسماعيل عليه السلام يجود بنفسه، كلاهما من أجل الإيمان بالله عز وجل، الذي هان من أجله كل شيء.

فما أحوجنا إلى هذا الدرس في هذا الزمان، الذي هان فيه كل شيء من أجل الدنيا ومتعها الزائلة، وانصرف الناس عن دينهم من أجل هذه الدنيا الفانية، وجعلوا أنفسهم عبيداً لها، فأصبحت كل همهم، ومبلغ علمهم، لذلك لم يزدادوا من الله إلا بعداً، وأصبحوا في تعاسة مستمرة قال ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»[4].

---

(١) القصص القرآني ص ١٠٩ .

(٢) سورة الصافات جزء من الآية : ١٠٢ .

(٣) سورة الصافات تتمة الآية : ١٠٢ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في - الزهد - الحديث (٤١٣٦)، وهو عند البخاري بلفظ مختصر - في الجهاد والسير - الحديث (٢٨٨٦).

وما أحوجنا إلى أناس يضحون بأنفسهم في سبيل طاعة الله، وطلب رضاه، ما أحوجنا إلى أناس يسلمون أرواحهم لله بدون ثمن سوى رضاه. كما فعل سيدنا إسماعيل عليه السلام الذي قال لأبيه - عندما عرض عليه أمر ربه - بلا تردد ولا تلجلج ولا تمحل ولا سؤال قط: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾. هكذا دون خوف ولا تردد ولا جبن، بل قال هذا الكلام بكل رضا، وبكل ثقة فيما عند الله عز وجل من أجر وثواب.

ما أحوجنا لِنَاسٍ راضين بقضاء الله وقدره، حتى يخلصهم هذا الرضا من الهم والحزن والغم وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، وسوء الظن بالله، ويبعد عنهم الشيطان، لأن الشيطان يظفر بالإنسان غالباً عند السخط والشهوة، ويخرج الهوى من القلب، فالرَّاضِي هَوَاهُ تَبَعٌ لمراد رَبّه منه، فلايجتمع الرضا واتباع الهوى في القلب أبدا.

ما أحوجنا لِنَاسٍ راضين بأمر الله عز وجل كي تنزل السكينة عليهم فتنفعهم، وتجعلهم مستقيمين، وتُصلِح أحوالهم وبالهم، وبالرضا يفتح باب السلامة، فيجعل القلب نقيّاً من الغش والدَّغل والغل، ويفتح باب اليقين في الله، فيسلم الراضي من باب الشك في الله وقضائه وقدره، وحكمته وعلمه. وإن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غِنىً وأمناً وقناعة، وَفَرَّغَ قلبه لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه. وجعله من الشاكرين لأن الرضا يورث الشكر الذي هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان.

والراضي ينال رضا الله عنه، ورضا الله أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا صفة الله والجنة خَلْقه. قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]. ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال[2].

**المفهوم الثامن عشر: التزام الأدب مع الله عز وجل وإرجاع كل شيء إلى مشيئته**

في قول سيدنا إسماعيل لأبيه: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ يشير إلى عدة أمور من أهمها مايلي:

أولها: يدل على قمة الأدب الذي التزم به إسماعيل عليه السلام مع ربه عز وجل، فقدعلق صبره على تحمل الذبح على مشيئة الله عز وجل، فكأنه يقول إنه ضعيف، ولذلك فإنه يلجأ إلى الله عز وجل كي يعينه على التضحية، ويساعده على طاعته عز وجل في تحمل أمره سبحانه.

ثانيها: يشير إلى أنه لاحول له عن المعصية إلا بعصمة الله، ولاقوة على الطاعة إلا بمعونة الله وتيسيره (وهذه هي الهمة المطلوبة .. الهمة المرتبطة بالحق سبحانه؛ إذ أن الهمة إذا تعلقت بالله طلباً صادقاً خالصاً محضاً، فتلك هي الهمة العالية التي لايقدر معها على المهلة، ولايتمالك صبره لغلبة سلطانهاعليه، وشدة إلزامها إياه بطلب المقصود. وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه)[3].

---

(١) سورة التوبة الآية: ٧٢.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي (٢/٢٠٥-٢٣٠) بتصرف.

(٣) مدارج السالكين (٢/٣، ٤).

ثالثها: لما استثنى في كلامه ورده على أبيه وفقه الله عز وجل للصبر، وجعله سبحانه من الصابرين، بل وفي أعلى مقام في الصبر، وذلك لأن الصبر كما يقول ابن القيم رحمه الله : ثلاث مقامات: صبر لله: رجاء ثوابه وخوف عقابه، وهو أعلاها، وصبر بالله، وصبر على أحكامه.

والصبر لله : فوق الصبر بالله، وأعلى درجة منه وأجل، لأن الصبر لله متعلق بألوهيته، والصبر متعلق بربوبيته، وما تعلق بإلاهيته أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته، ولأن الصبر له: عبادة، والصبر به استعانة، والعبادة غاية، والاستعانة وسيلة، والغاية مرادة لنفسها، والوسيلة مرادة لغيرها، ولأن الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به، وأما صبره له : فمنزلة الرسل والأنبياء والصديقين وأصحاب مشهد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، ولأن الصبر له: صبر فيما هو حق له، محبوب له، مرضيّ له. والصبر به : قد يكون في ذلك، وقد يكون فيما هو مسخوط له، وقد يكون في مكروه أو مباح فأين هذا من هذا؟

وأما الصبر على أحكامه، فإنه صبر على أقداره، والصبر لله : لاشك أعلى منه؛ لأن الصبر على أحكامه صبر ضرورة، أما الصبر لله فيه اختيار وإيثار ومحبة، ولذلك كان صبر سيدنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام- على ما نالهم في الله باختيارهم، ومقاومتهم قومهم: أكمل من صبر سيدنا أيوب - عليه السلام - على ما ناله في الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسبباً عن فعله.

---

(١) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

وكذلك صبر سيدنا إسماعيل الذبيح هنا، وصبر أبيه سيدنا إبراهيم عليهما السلام على تنفيذ أمر الله أكمل من صبر سيدنا يعقوب على فقد سيدنا يوسف - عليهما السلام -، فيعلم من هذا أن الصبر لله أعلى مقامات الصبر، وحظي بهذا المقام سيدنا إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام[1].

**المفهوم التاسع عشر: الأشياء لا تؤثر بذاتها وإنما بإرادة الله عز وجل**

من الأقوال المشهورة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما جعل ابنه إسماعيل في موضع يمكنه من ذبحه، وَأَمَرَّ السكين على حَلْقِهِ كي يذبحه، لكن السكين لم تعمل شيئاً، فلم تقطع عضواً، فالله عز وجل قد منعها من ممارسة مهمتها، وهذا دليل على أن الأمور العادية لم تؤثر بنفسها، ولابقوة أو دعها الله عز وجل فيها، وإنما المؤثر هو الله سبحانه وتعالى، فمن الجائز استخدام الأمور العادية لكنها لا تمارس مهامها المعتادة، كما حدث للسكين مع سيدنا إسماعيل، فرغم إمرارها على حَلْقِ إسماعيل عليه السلام إلا أنها لم تذبحه، ولم تقطع عضواً، بل ولم تؤثر أي تأثير، والنار التي وضع فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تحرقه، والبحر الذي انفلق فلقتين بعصا سيدنا موسى عليه السلام تخلفت سيولة الماء من جانبيه، وتخلف انطباقه على سيدنا موسى عليه السلام ومن معه. فدلت كل هذه الأمور على أن الأمور العادية لاتؤثر بنفسها ولابقوة أودعها الله عزوجل فيها، بل المؤثِّر هو الله سبحانه وتعالى وحده - وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١٥٧/٢ - ١٧٠) بتصرف.

(٢) سورة يس الآية : ٨٢ .

ويقول سبحانه: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[1].

**المفهوم العشرون : الابتلاء والاختبار سنة الله في عباده ليميز به الخبيث من الطيب**

ويعلمنا أيضا أن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده المؤمنين على وجه الاختبار والامتحان، ليتبين مخبوء نفوسهم، ومدى طاعتهم في الشدائد، ومدى تمسكهم بل واستمساكهم بمعاني الإسلام في أوقات الشدائد والصعاب، وعلى هذه السنة الإلهية امتحن الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، كما امتحن بهذا سيدنا إسماعيل نفسه، أيعصى أباه أم يطيعه ..؟ وليكن معلوماً أن امتحان الله عباده المؤمنين من اختصاص رب العالمين، فهو الذي يقرر امتحان المؤمن في الوقت الذي يريده، وبالكيفية التي يريدها، ولا اعتراض، ولاتعقيب على حكم أحكم الحاكمين، وهذا ما يجب غرسه في نفوس من نقوم بتربيتهم وتوجيههم، وتوضيحه لهم، لأنه يتعلق بالعقيدة، والعقيدة أهم مطالب الدين، كما يجب على المربين أن يبينوا لمن يقومون بتربيتهم أن الله عز وجل يبتلي من يبتليه ويختبره ﴿ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[2]. ثم يفرج عزوجل عن المسلمين المنقادين لأمر الله ماهم فيه من شدائد وكربات، ماداموا حاضرين ومستعدين وعازمين

---

(١) سورة الأنفال الآية : ١٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٤١ .

على تنفيذ أمر الله[1]، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

**المفهوم الحادي والعشرون: اهتمام الآباء بالأبناء - ولو كانوا كباراً - يشعرهم بالثقة، ويحملهم على احترام آبائهم وقبول آرائهم**

تقدم في أحداث قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه كان كثير التردد على ابنه، والسؤال عن أحواله، وأنه أمره بفراق زوجته الشاكية من شدة العيش، وإمساك الأخرى الشاكرة الراضية، ونستخلص من هذا الحدث مايلي:

١ - على الآباء والأمهات الاهتمام بأولادهم، والسؤال عن أحوالهم، ومراعاتهم مراعاة كاملة، والاطلاع على ظروفهم وأحوالهم، ومتابعة كل أخبارهم - سواء أكانوا يعيشون معهم أم بعيدين عنهم لأي ظرف من الظروف - كي يوجهوهم دائماً إلى الخير، وإلى ما فيه مصلحتهم، كما كان يفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام، فرغم بعد المسافة بين الشام ومكة، ورغم بدائية المواصلات في ذلك الزمن، ورغم الإرهاق والتعب والمشقة التي كانت تلحقه عليه السلام في رحلاته - خاصة وأنه كان كبير السن في هذا الوقت - إلا أنه كان دائم التردد على زوجه هاجر وابنه إسماعيل بمكة، لمراعاة أحوالهما، والاطلاع على أمورهما، ولكي يحسس ابنه أنه في أمان، وأن هناك من يتابعه، ويهتم بشؤونه ويراقبه، ويخاف عليه.

٢ - على الآباء إذا وجدوا مالا ينبغي عند أولادهم أن ينبهوهم إلى ذلك،

---

(١) المستفاد من قصص القرآن للدكتور عبدالكريم زيدان ص ٢٢٥، ٢٢٦ بتصرف.

(٢) سورة الصافات الآية: ١١٠، ١٢١، ١٣١.

وليطلبوا منهم تعديل الوضع المعوج وتصحيحه. كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما وجد زوجة سيدنا إسماعيل عليه السلام الأولى متبرمة من الحياة، وساخطة على المعيشة التي تعيشها مع زوجها، وعلى قضاء الله وقدره الذي عبرت عنه بقولها «نحن بِشرٍّ» - والمسلم كل أمره خير مادام منقاداً لأمر الله عز وجل، وقد يكون الشر في الغنى، ورسول الله ﷺ مات ودرعه مرهون عند يهودي، وكان يمر عليه الهلال والهلالان فلايوقد في بيته نار - فأمره بطلاقها. فاستجاب سيدنا إسماعيل عليه السلام لمطلب أبيه، فطلق زوجته وتزوج من غيرها، وعلى الأولاد أن يطيعوا الآباء فيما يأمروهم به من الحق، ولو كان ذلك على خلاف ما يحبون، ويهوون، فلو أمر الرجل العادل ابنه بطلاق زوجته - مثلاً - وجب على الابن أن يطيعه في هذا ولايعصيه، فقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب ابنه عبدالله رضي الله عنهما بطلاق زوجته التي كان يحبها، فلم يطلقها، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال «ياعبدالله بن عمر طلق امرأتك وأطع أباك»[1]، ولاشك أن عمر رضي الله عنه، لَوْلَمْ يَرَ سَبَباً كافياً لطلاقها ما طلبه، ولهذا لايطاع الآباء في طلاق الزوجات إلاعند المبررات الكافية للطلاق.

٣ - من أقدس حقوق الزوج على زوجته إكرام والديه وحسن معاملتهم، اعترافاً منها بأن وَالِدَيِ الزوج هما صاحبا الفضل في إنجابه وتربيته، وإعداده ليكون زوجاً لها[2]. ولتكن زوجة سيدنا إسماعيل الثانية - رضي الله عنها-

---

(١) أخرجه الترمذي في الطلاق - الحديث (١١٨٩)، والحاكم في المستدرك (١٥٢/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أحمد (٤٢/٢) مقتصراً على (ياعبدالله طلق امرأتك).

(٢) عناية القرآن الكريم بالأسرة للدكتور أحمد عبدالغني الجمل ص ١٥٧ .

قدوة لهن في ذلك، فقد قابلت سيدنا إبراهيم عليه السلام بِمُنْتَهى الأدب والاحترام والتقدير.

٤ - على الزوجة أن ترضى بالعيشة التي يعيشها زوجها، وبالرزق الذي يهبه الله عز وجل لهما، فلا تضجر ولاتسخط من قضاء الله وقدره، ولاتحتقر رزق الله عز وجل كي يوسع الله سبحانه وتعالى عليها وعلى زوجها، ويرزقهما من حيث لم يحتسبا.

٥ - على المسلم أن يتخير لنطفه فإن العرق دساس، ويختار ذات الدين، الراضية الصابرة، المجاهدة في ميدان الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فقد فارق سيدنا إسماعيل عليه السلام من اتخذت السخط سبيلاً وعادة، وسعد بمن صبرت وصابرت، ورضيت وقنعت[1].

**المفهوم الثاني والعشرون : ينبغي للمربى الناجح أن يبدأ بنفسه ليكون قدوة لغيره**

فرغم كبر سن سيدنا إبراهيم عليه السلام وشيخوخته، إلا أنه جد واجتهد بنفسه مع ابنه إسماعيل في بناء الكعبة، كي يقدم له القدوة الصالحة في التقرب إلى الله عز وجل، ببذل الجهد والطاقة في طاعة الله سبحانه حتى يقتدي الابن به، وليس هذا أول عمل صالح يقوم به الأب أمام ابنه للاقتداء به، لكن سبقه أشياء كثيرة قدمها الأب أمامه، تجمعت لتكون منهجاً تربوياً كريماً وفريداً.

منها تركه له هو وأمه بمفردهما في واد غير ذي زرع عند بيته المحرم،

(١) في موكب النبيين للأستاذ سيد أحمد الكيلاني (٢٢٥/١).

تلبية لأمر الله عز وجل.

ومنها أنه حينما أمره الله عز وجل في المنام أن يذبحه فأخبره بخبر الرؤيا فلما وافق الابن - إسماعيل عليه السلام - على ما عزم عليه أبوه إبراهيم عليه السلام من ذبحه تنفيذا لأمر الله عز وجل، وذهب الأب لتحقيق الرؤيا منقاداً لأمره تعالى، لم ينطق الابن ببنت شفة، ولم يعترض، ولم يتوسل لوالده أن يتركه، بل انصاع لأمر الله عز وجل، مقتدياً في ذلك بوالده، فالأب ذهب ليذبح ابنه، والابن استسلم لأبيه ليذبحه تحقيقاً لأمره تعالى.

وهكذا يكون الإيمان، وهكذا تكون القدوة في التربية، فالمربي يجب عليه أن يكون قدوة لمن يربيهم، فينفذ كل ما يدعوهم إليه أمامهم، حتى يكون قدوة صالحة ماثلة أمامهم، فيتأثروا به أكثر من تأثرهم بالكلام النظري الذي لايطبق أمامهم في الواقع.

وذلك لأن الأبناء مهما كان استعدادهم للخير قويا، ومهما كانت فطرهم سليمة ونقية، فإنهم لن يستجيبوا للخير وأصوله إلا إذا رأوا أمامهم من يقتدون به من المخلصين لربهم ولدينهم، الذين يلتزمون التزاماً كاملاً بمنهج الله عز وجل. أما إذا لم يروا القدوة أمامهم سواء في البيت أم في المدرسة أم في المعاملات المختلفة في أي مكان من مجتمعهم، فإن الانحراف يكون حليفهم، مهما وَجَّهَ الموجهون، وَعَلَّمَ المعلمون، وَرَبَّى المربون، إن العمل بما ندعو به أنجع في التأثير من القول بلا عمل آلاف المرات.

ولذلك فإن الرسول ﷺ كان قدوة لأصحابه، فقد كان خلقه القرآن، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان على خلق عظيم، كما قال سبحانه

وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]. من أجل ذلك فإن الصحابة تربوا تربية حسنة كريمة فاضلة، بفضل اقتدائهم بالرسول الكريم ﷺ في كل شيء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

ولعظم القدوة ولأهميتها في حياة البشر فقد نعى القرآن الكريم على المربين والمعلمين والمتصدين لتوجيه الناس بالقول دون الفعل، وحذرهم من هذا الصنيع تحذيراً شديداً فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[3].

**المفهوم الثالث والعشرون : المؤمن يؤدي العمل الصالح وهو مشفق من التقصير فيه راغب إلى الله أن يتقبله**

كان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان الكعبة ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[4]. فهما في عمل صالح، ورغم ذلك فإنهما يسألان الله عز وجل أن يتقبل منهما. روى ابن كثير رحمه الله عن وهيب بن الورد (من السلف الصالح) أنه قرأ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾[5] ثم يبكي ويقول: ياخليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لايتقبل منك. ثم يقول ابن كثير: وهذا كما

---

(١) سورة القلم الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٣) سورة الصف الآية : ٢، ٣ .

(٤، ٥) سورة البقرة الآية : ١٢٧ .

حكى الله عن حال المؤمنين الخلص في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ﴾[1] أي: يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾[2] أي: خائفة أن لايتقبل منهم. كما جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ[3]. إنها لدرجة عظيمة تلك التي يعمل فيها الإنسان العمل الصالح، وهو يخاف أن لا يتقبل منه. يقول الشهيد سيد قطب عليه رحمة الله واصفاً هذه الحالة عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ الخ... إن هذه الآية تبرز صورة اليقظة والحذر في القلوب المؤمنة، ومن هنا يبدو أثر الإيمان في القلب، من الحساسية والإرهاق والتحرج، والتطلع إلى الكمال، وحساب العواقب، مهما ينبض بالواجبات والتكاليف. فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى، وهم يؤمنون بآياته، ولايشركون به، وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم، وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا. ولكنهم بعد هذا كله: ﴿ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ لإحساسهم بالتقصير في جانب الله، بعد أن بذلوا ما في طوقهم، وهو في نظرهم قليل، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يارسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عزوجل، قال: «لا يابنت الصديق» ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل»[4].

---

(١)، (٢) سورة المؤمنون الآية : ٦٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/١٧٥).

(٤) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن - الحديث (٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد الحديث (٤١٩٨).

إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه. ويحس آلاءه في كل نفس، وكل نبضة.. ومن ثم يستصغر كل عباداته. ويستقل كل طاعاته. إلى جانب آلاء الله ونعمائه. كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته، ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله .. ومن ثم يشعر بالهيبة،ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر في حقه، لم يوفه حقه عبادة وطاعة، ولم يقارب أياديه عليه معرفة وشكرا[1].

من جهة أخرى فإن هذا الشعور الذي يعتري المؤمن الذي يعمل الأعمال الصالحة بيقين وإخلاص لله، ثم هو مع ذلك يخاف أن لايقبل منه دليل على الإخلاص، إذ أن من الإخلاص خجل المؤمن من عمله، وهو شدة حيائه من الله، إذ لم ير ذلك العمل صالحاً له مع بذل مجهوده فيه، فهو قد جمع إحساناً في مخافة، وسوء ظن في نفسه[2].

## المفهوم الرابع والعشرون : الاجتهاد والإخلاص في الدعاء وعدم تعجل الإجابة

توجه سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى ربهما بالدعاء وهما يبنيان الكعبة، توجها إلى الله عز وجل بالدعاء وهما في هذا العمل الصالح، وفي هذه البقعة الطاهرة التي عندها تسكب العبرات، وفيها يستجاب الدعاء ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

---

(١) في ظلال القرآن (٢٤٧٢/٤).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٩٥/٢) بتصرف.

﴿وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]، وكانت الاستجابة لدعوتهما عليهما السلام هي بعثة الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ بعد قرون وقرون. بعثة رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -، يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويطهرهم من الأرجاس والأدناس، إن الدعوة المستجابة تجاب، ولكنها تتحقق في أوانها الذي يقدره الله بحكمته. غير أن الناس يستعجلون، وغير الواصلين يملون ويقنطون[2]! وعن بعثة سيدنا محمد ﷺ يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]، هذا وقد بين الرسول الكريم ﷺ في سنته الشريفة أنه الدعوة التي دعاها سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام، فقد قال ﷺ: «أنا دعوة إبرهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام..»[4]. ومن نعمة الله عز وجل على هذه الأمة أن كان هذا الرسول - أي سيدنا محمد ﷺ - منهم لامن غيرهم لوجوه :

أحدها: ليكون محلهم ورتبتهم في العز والدين أعظم؛ لأن الرسول والمرسل إليه إذا كانا معاً من ذريته كان أشرف لطلبته إذا أجيب إليها.

ثانيها: أنه إذا كان منهم فإنهم يعرفون مولده ومنشأه، فيقرب الأمر إليهم

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٩ .

(٢) في ظلال القرآن (١/١١٥).

(٣) سورة الجمعة الآية : ٢ - ٣ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٦٠٠) وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

في معرفة صدقه وأمانته.

ثالثها: إنه إذا كان منهم كان أحرص الناس على خيرهم، وأشفق عليهم من الأجنبي لو أرسل إليهم»[1].

## المفهوم الخامس والعشرون: الدعاء عبادة وأفضله ما دعا به الأنبياء عليهم السلام

يستحب للمسلم أن يدعو بالمأثور من الدعاء مما ورد في القرآن الكريم أو على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، وقد رأينا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام دعا الله لنفسه ولابنه بأن يجعلهما مسلمين، كما دعا أيضاً لِذُرِّيَّتِهِمَا من بعدهما بالإسلام كذلك، وهكذا ينبغي على المسلم أن يدعو بمثل هذه الأدعية، لأن فيها قوة وتذكيراً بأنه موصول بالله.

كما ينبغي عليه أيضاً أن يدعو لوالديه، لأن هذا من البر بهما، ويدعو لذريته بالصلاح، وهذا من صلة الرحم، ثم يدعو لعموم المسلمين، وهذا الدعاء يذكره بالرابطة الإيمانية التي تربطه بهم، وبحقوقهم عليه، واهتمامه بهم، ولابأس أن يدعو الداعي لنفسه ولغيره بما هو مباح للمسلم من خيرات الدنيا، ناوياً بذلك الاستعانة به في عبادة الله تعالى.

ويلاحظ في أدعية سيدنا إبرهيم عليه السلام أنها كلها توسل بالله، وطلب منه، وذكر لأسمائه وصفاته، وتبدأ بنداء الله تعالى بـ «ربنا» أو «رَبِّ» ومايتضمنه هذا النداء من اعتراف الداعي بربوبية الله لكل شيء، وبعبودية

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٤/٦٥).

الداعي لله رب العالمين[1]، كما يتضمن أيضاً إظهار الضراعة إلى الله، وإظهار أن كل دعوة من هذه الدعوات مقصودة بالذات، ولذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى، فإن الدعوة الأولى لتقبل العمل، والثانية لطلب الاهتداء والثبات، والثالثة لطلب تمام الهداية ببعثة الرسول في ذُرِّيَّتِهِمَا[2]. والله أعلم.

وبعد فينبغي على الداعي المسلم أن يدعو ربه بمثل الصيغ التي دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام بها ربه، ولايدعو غير الله، لأن ما عدا الله لايملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً. وعلى الدعاة والمربين أن يبينوا لمريديهم أهمية الدعاء، وما يتضمنه من إقرار بربوبية الله وبألوهيته، وبعبودية الداعي لربه[3]، ولهذا جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال : الدعاء مخ العبادة»[4].

**المفهوم السادس والعشرون : إكرام الضيف من خلق الأنبياء والصالحين**

إن إكرام الضيف من خلق الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، فالآيات تخبرنا بكرم سيدنا إبراهيم عليه السلام وجوده وسخائه مع ضيوفه، فبمجرد وصولهم إليه وقبل أن يعرف من هم، ومن دون أن يسألهم هل يأتي لهم بطعام أم لا؟ أحضر لهم أفضل ما عنده من الطعام بمنتهى السرعة، ثم قدمه لهم. وحينما طلب منهم أن يأكلوا استعمل معهم أسلوباً يتسم بالرقة

---

(١) المستفاد من قصص القرآن (٢١٧/١، ٢١٨) .

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧١٩/١ - ٧٢٢) بتصرف.

(٣) المستفاد من قصص القرآن (٢١٨/١).

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٧١).

والذوق وآداب الضيافة والزيادة في الكرم. قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[1].

**المفهوم السابع والعشرون : من آداب الضيف أن يأكل مما قدم له**

ينبغي للضيف إذا قدم له طعامٌ أن يأكل منه ولو مجاملة لصاحب الطعام، فشأن الضيف الكريم أن يأكل من طعام مضيفه أياً كان نوع الطعام، أما الضيف اللئيم فلا يأكل من طعام مضيفه، وبالتالي فإنه يدخل الريبة على مضيفه، ويشعره بأنه ينوي خيانة أو غدراً بحسب تقاليد أهل البدو، وأهل الريف في مصر يتحرجون من خيانة الطعام أي: من خيانة من أكلوا معه طعاماً؟ فإذا امتنعوا عن طعام أحد فمعنى ذلك أنهم ينوون به شراً، أو أنهم لايثقون في نياته لهم. وقد جاء في المثل «من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك» وأما هؤلاء الضيوف، فإنهم لم يأكلوا لأنهم ملائكة، والملائكة لاتأكل ولاتشرب.

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٢٦ - ٢٧ .

# الباب الرابع
# سيدنا لوط عليه السلام وزوجه

- تمهيد.

- المبحث الأول : موقف زوج نبي الله لوط من دعوته.

- المبحث الثاني : المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لوط عليه السلام.

# تمهيد

كان لوط عليه السلام ابن أخ إبراهيم الخليل عليه السلام، آمن بدعوة عمه، وهاجر معه من العراق إلى أرض الشام إلى البلاد المقدسة التي باركها الله سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[2]، وبعد هجرته إلى الشام أرسله الله سبحانه وتعالى في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها. فاستجاب لأمر الله، ونزح عن محلة عمه إبراهيم، واستقر به المقام بمدينة سدوم، ثم أخذ يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه، وينكر عليهم سوء ما كانوا يصنعونه ويفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين، وكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله، وقطعهم السبيل، فيقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، وإتيانهم ما لايليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، دون أن ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك، كإتيان بعضهم بعضاً في الملأ، والتضارط والتضاحك، والتناطح بين الكباش، والتناقر بين الديكة، وغير ذلك من وجوه الشر. قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[3]. وهذا من كفرهم واستهزائهم

(١) سورة الأنبياء الآية : ٧١ .

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٢٦ .

(٣) سورة العنكبوت الآيتان : ٢٨ ، ٢٩ .

وعنادهم، ولهذا استنصر عليهم نبي الله[1] فقال: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

فاستجاب الله عز وجل له، وبعث لنصرته ملائكته الكرام فقالوا له: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٠٩ - ٤١١) بتصرف.

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٣٠ .

(٣) سورة هود الآيات : ٨١ - ٨٣ .

# المبحث الأول
# موقف زوجة نبي الله لوط عليه السلام
# من دعوته

## موقف زوجة نبي الله لوط عليه السلام من دعوته

### امرأة لوط عليه السلام على دين قومها

كانت زوجة لوط عليه السلام على دين قومها، وكانت عيناً لقومها على من يكون عند لوط عليه السلام من الضيفان[1]. لذلك وصفها الله عز وجل بالكفر، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2]. أي: ضرب الله مثلاً لامرأتين كافرتين هما امرأة نوح، وامرأة لوط. وحدد المرأتين وزوجيهما ليبين أنه كان من الواجب على المرأتين، أن تؤمنا بالله نظراً لوضعهما، وزواجهما من نبيين، لكنهما خالفتا في ذلك الطبيعة، وكفرتا بالله عز وجل، لذلك فقد استحقتا دخول النار مع الداخلين، ولم يمنعهما من ذلك كونهما زوجين لنبيين، بل قد يكون ذلك سبباً في مضاعفة العذاب لهما[3]. كما قال سبحانه وتعالى عن زوجات نبينا ﷺ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[4].

### خيانة امرأة لوط عليه السلام

قال الله عز وجل عن خيانة زوجة سيدنا لوط عليه السلام

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٥٤ .

(٢) سورة التحريم الآية : ١٠ .

(٣) الأمثال في القرآن الكريم للدكتور أحمد عبدالغني الجمل ص ١٢٥ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٠

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾. والمراد بالخيانة هنا الخيانة في الدين، بمعنى: أنهما لم يتبعانهما في الدين فامرأة نوح لم تتبع زوجها فيما جاء به، وبالإضافة إلى ذلك فإنها كانت تخبر قومه أنه مجنون، وقد أسلفنا الحديث عنها في موضعها عند حديثنا عن أسرة سيدنا نوح عليه السلام.

أما امرأة لوط فبالإضافة إلى أنها كانت لاتدين بما يدعو به زوجها، فإنها كانت تخبر قومها بضيوف لوط، عليه السلام.

ومن قال خلاف ذلك في خيانتهما فقد أخطأ خطأً كبيراً، لقول الله تعالى في قصة الإفك، لما أنزل سبحانه وتعالى براءة أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - بنت الصديق رضي الله عنه - زوج رسول الله ﷺ حين قال عنها أهل الإفك ما قالوا، ومعاتباً إياهم، وزاجراً لهم، ومؤنباً وواعظاً ومحذراً لهم ولغيرهم من العود إلى مثل هذه الأمور: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[1] ... ثم يقول ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] ... ثم يقول: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ﴾[3].

---

(١) سورة النور الآية : ١٢ .

(٢) سورة النور الآيات : ١٥ - ١٧ .

(٣) سورة النور الآية : ٢٦ .

# المبحث الثاني
# المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من قصة لوط عليه السلام

## المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة

## من قصة لوط عليه السلام

### المفهوم الأول : المؤمن حسن الظن عف اللسان

يجب على المؤمنين أن يظنوا دائماً الخير بأنفسهم، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم وغيرهم - من المؤمنين الصادقين في إيمانهم - في الموبقات والمهلكات. وإذا سمعوا شيئاً منكراً على أحد من المؤمنين بل ومن باب أولى على الأنبياء فيجب عليهم أن تجفل قلوبهم عن مجرد سماعه، وأن يتحرجوا بل ويمتنعوا عن مجرد النطق به.

فيجب تنزيه زوجات الأنبياء عن الفواحش حتى ولو كانت هذه الزوجات كافرات، لأنه كما يقول ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف: ما بغت امرأة نبي قط. ومن قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأً كبيراً. ويقول ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى عن زوجتي نوح ولوط ﴿ **فَخَانَتَاهُمَا** ﴾: ليس المراد بقوله ﴿ **فَخَانَتَاهُمَا** ﴾ في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة، لحرمة الأنبياء، ثم يقول: قال العوفي عن ابن عباس: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، ثم يقول: أما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء[1]. وقال الألوسي: كانتا منافقتين، ثم يقول: ولاتفسر الخيانة هنا بالفجور، لما أخرج غير واحد عن ابن عباس «مازنت امرأة نبي قط»[2]. ورفعه أشرس إلى

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٩٢/٤).

(٢) روح المعاني للألوسي (١٦٢/٢٨)، والوسيط (٣٢٢/٤).

النبي ﷺ، ثم يقول: وفي الكشاف، لايجوز أن يراد بالخيانة الفجور، لأنه سمج في الطبع، نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر، فإن الكفار لايستسمجونه، بل يستحسنونه ويسمونه حقاً[1].

**المفهوم الثاني : الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا سبب الإيمان**

إذا كان للكافر صلة نسب أو زوجية أو قرابة من مؤمن أو صالح، فهذه الصلة لاتنفع الكافر كما رأينا في امرأة نوح وامرأة لوط، وكما أخبرنا الرسول ﷺ حينما بين للسيدة فاطمة وعمته أنه لايغني عنهما من الله شيئاً، وقد سبق أن ذكرنا هذا الكلام عند حديثنا عن زوج سيدنا نوح عليه السلام، وهما زوجتا نبيين كريمين. ولكن هذه الرابطة الزوجية لم تغن عنهما من الله شيئاً لكفرهما[2]، وفي الحديث الشريف «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[3] فعلى الدعاة والمربين أن يبينوا ذلك للناس ويوضحوه.

وعليهم أن يربوا من يربونهم ويوجهونهم دائماً إلى الخير والصلاح والعمل الصالح، لأن ذلك هوالذي ينفع الإنسان فقط، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[5]. وقال: ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾[6].

---

(١) تفسير الكشاف ص ١١٢٣ .

(٢) المستفاد من قصص القرآن (٢٣٥/١) بتصرف.

(٣) هو جزء من حديث أخرجه مسلم في - الذكر والدعاء - الحديث (٦٧٩٣)، وأبو داود في - الأدب - الحديث (٤٩٤٦).

(٤) سورة الشعراء الآيتان : ٨٨ ، ٨٩ .

(٥) سورة الطور الآية : ٢١ .

(٦) سورة الإسراء جزء من الآية : ١٥ .

وعليهم أن يبينوا لهم أن الإسلام يقرر مبدأ المسئولية الفردية، وأن الكافر والعاصي يعاقبان على كفرهما ومعاصيهما وعداوتهما لله ورسوله وأوليائه، ولاينفعهم مع كفرهم ما كان بينهم وبين المؤمنين من لحمة نسب، أو صلة مصاهرة، أو أي سبب من أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة، ولاينفع إلا الإيمان بالله واتباع ما جاء به الرسل الكرام، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الوصلة التي كانت بين نوح ولوط وامرأتيهما، لكن هذه الوصلة لم تنفعهما، فقد هلكتا مع الهالكين في الدنيا، وفي الآخرة يقال لهما: ﴿ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1]. وابن سيدنا نوح أيضاً كان من الكافرين، فأغرق مع المغرقين، وفي الآخرة يدخل النار مع الداخلين، وكذلك الحال بالنسبة لوالد إبراهيم، والله أعلم.

وهكذا يُقَرِّرُ لهم أنه: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾[2]. ويقرر لهم كذلك أنه يوم القيامة لاتملك فيه نفس لنفس شيئاً ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[3]. ويقال لهم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[4]. ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[5].

---

(١) سورة التحريم الآية : ١٠ .

(٢) سورة الممتحنة الآية : ٣ .

(٣) سورة الانفطار الآية : ١٩ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٤٨ .

(٥) سورة لقمان جزء من الآية : ٣٣ .

# ثبت المراجع


- **القرآن الكريم**
- آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم: دكتور فاروق حمادة. الطبعة الأولى. دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. الطبعة الثانية، دمشق، دار الفكر.
- أخلاق الداعية: عبدالله ناصح علوان، الطبعة الأولى، بيروت وحلب، القاهرة، دار السلام (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الثانية.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. محمد بن محمد العمادي أبوالسعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- الأمثال في القرآن الكريم: دكتور أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة الإيمان (١٩٩٨).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع (بدون تاريخ).
- البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- البداية والنهاية: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

- البر والصلة: الحسن بن الحسن المروزي: تحقيق محمد سعيد محمد بخاري، الطبعة الأولى، الرياض السعودية، دار الوطن للنشر (١٤١٩هـ).
- تأملات في سورة مريم، حسن محمد باجودة، القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية، دار الاعتصام (١٩٧٨).
- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب (١٩٨٤م).
- الترغيب والترهيب: عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، الطبعة الثانية، بيروت، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ومؤسسة علوم القرآن (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- تفسير ابن عطية، المسمى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) أبومحمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، الطبعة الأولى، قطر، مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية (١٤١٢هـ-١٩٩١م). والمغرب، فاس، تحقيق المجلس العلمي.
- تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير القرشي. الطبعة الثانية، بيروت، دار صادر (١٣٨٩هـ-١٩٧٠م).
- تفسير الماوردي (النكت والعيون) أبو الحسن على بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق خضر محمد خضر، الطبعة الأولى، الكويت، مطابع المقهوي، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، التراث الإسلامي (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم، الشيخ محمد رشيد رضا، القاهرة (١٩٣٥م)، بيروت، دار المعرفة.
- تفسير النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- التفسير الواضح: الدكتور محمد محمود حجازي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- تفسير الوسيط: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق دكتور أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل وآخرون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- تهذيب الأخلاق: الجاحظ، القاهرة، دار الصحابة للتراث (د. ت).
- تهذيب مدراج السالكين: عبدالمنعم صالح العلي العزي، دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، (د. ت).
- تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، الرياض، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (١٤٠٤هـ).
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١٩٦٥م-١٩٩٦م).
- حاشية الصاوي على الجلالين، الشيخ أحمد بن محمد الصاوي، بيروت، دار

إحياء التراث العربي (د. ت).
- حقوق المرأة في الإسلام، القسم الأول، د. سعاد إبراهيم صالح، سلسلة قضايا إسلامية العدد (٣٤)، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، الطبعة الرابعة، مصر، إدارة الطباعة المنيرية (د. ت)، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: لابن حبان، تحقيق علي بن شرف العمري، القاهرة، (١٩٨١م)، وتحقيق محمد مُحْيَى الدين عبدالحميد وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).
- زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الطبعة الثالثة، دمشق وبيروت، المكتب الإسلامي (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- سنن ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر (د. ت).
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر، نشر إحياء السنة النبوية (د. ت).
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني. إعداد وتعليق: عزت عبيد

عبدالحميد، وعادل السيد، طبعة أولى، سوريا ولبنان، دار الحديث (١٣٨٨هـ-١٩٦٩م).

- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطية عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).

- سنن الدارمي: أبو عبدالله بن بهرام الدارمي، القاهرة، دار الفكر (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولى، الهند، حيد آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، وبيروت، طبع دار المعرفة (د. ت).

- سنن النسائي: أبو عبدالله أحمد بن شعيب بن علي بن يحيى بن سنان بن دينار النسائي، طبعة أولى، بيروت، دار البشائر الإسلامية، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

- السنة لابن أبي عاصم الشيباني، الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي (١٤٠٥هـ).

- السيرة النبوية دروس وعبر: دكتور مصطفى السباعي، سوريا، طبع ونشر عدنان زرزور (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

- شرح السنة: للبغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، طبعة أولى، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت).

- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: البسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية (١٩٩٠م).

- الصحيح: (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، طبعة أولى، بيروت مؤسسة الرسالة (د. ت).
- صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة الرابعة، بيروت، عالم الكتب (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، وط (١) دار الفكر (١٤١١هـ-١٩٩١م).
- صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط (٢)، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١٩٧٢م).
- صحيح مسلم: بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، تحقيق وإشراف: عبدالله أحمد أبو زينة، القاهرة، كتاب الشعب، (د. ت).
- الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي، تخريج وتعليق عبدالوهاب عبداللطيف ط (٢)، مصر، مكتبة القاهرة (١٩٦٥م).
- عناية القرآن الكريم بالأسرة: د. أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل، ط (١)، مصر، مكتبة الأزهر بطنطا (٢٠٠٢م).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد آبادي، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ط (٢)، المدينة المنورة، المكتبة السلفية (١٣٨٨هـ)، ط (٢)، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤١٤هـ-١٩٩٥م).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، تحقيق محب الدين الخطيب، مصر، دار الريان للتراث (١٤٠٧هـ) والطبعة الرابعة، القاهرة، المكتبة السلفية (١٤٠٨هـ)، بيروت، دار المعرفة (د. ت).
- فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن

علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر، ودار الكتب العلمية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين (تفسير الجمل): سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- في ظلال القرآن: الأستاذ سيد قطب، ط (٧)، بيروت، دار الشروق (١٣٩١هـ-١٩٧١م).
- في موكب النبيين: سيد أحمد الكيلاني، ط (١)، الكويت، دار القلم (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- قصص الأنبياء: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: الدكتور عبدالحي حسين الفرماوي، طبعة أولى، مصر، الناشر دار الطباعة والنشر الإسلامية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- القصص القرآني بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ ط (١)، دمشق، دار القلم، بيروت، التراث الإسلامي (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- القصص القرآني تفسير اجتماعي، الدكتور راشد الراوي، ط (١)، مصر، دار النهضة العربية (١٩٧٨م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله، محمود الزمخشري، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مصر، طبع مصطفى الحلبي (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الطبعة الأولى، بيروت، دار

المعرفة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (طبعة في مجلد واحد فقط).
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبدالباقي، مصر، دار الريان، (د. ت).
- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي البغوي الخازن، بيروت، دار الفكر (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط (٣)، بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ).
- محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، مطبعة الحلبي، (د. ت) والطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
- المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).
- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبدالكريم زيدان، ط (١)، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار المكتب الإسلامي (د. ت).
- المصنّف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الفكر، (١٩٨٣م)، ومصر مطبعة التقدم (١٣٤٩هـ).

- المطالب العالية في زوائد الثمانية: ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ: حبيب الرحمن الأعظمي، (د. ت).
- مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة، ط (١٢)، بيروت، دار العلم للملايين (١٩٨٣م).
- مع قصص السابقين في القرآن الكريم دراسات في الإيمان والدعوة والجهاد، د. صلاح الخالدي، الجزء الأول والثالث، ط (٢)، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن محمد الطبراني، تحقيق الشيخ السلفي، ط (١)، الرياض، دار الوطن للنشر، (د. ت)، والعراق، وزارة الأوقاف وإحياء التراث الإسلامي، مطبعة الوطن العربي.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، وضعه مجموعة من المستشرقين، ونشره أي ونسنك، إستانبول، تركيا، المكتبة الإسلامية، وليدن، مطبعة بريل (١٩٦٥م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين، الفخر الرازي، ط (٣)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصبهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط (٢)، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة، دكتور محمد بلتاجي، الطبعة الأولى، مصر، دار السلام (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

- نظرات في أحسن القصص: د. محمد السيد الوكيل، ط (١)، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
- هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة: د. أحمد عبدالغني محمد النجولي الجمل، ط (١)، مصر، دارالوفاء (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

# قبسات ... من مقدمة الكتاب

كان نشوء الأسرة مصاحباً لوجود الإنسان من لدن سيدنا آدم عليه السلام لم يتخلف عنه ولم يتأخر، قال تعالى في قصة آدم في الآيات الأولى من سورة البقرة : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)﴾.

ولما كان الأنبياء والرسل ليسوا بدعاً من البشر ، لذا فقد تزوجوا وكونوا أسراً عاشت مثل بقية الأسر ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الرعد آية ٣٨ .

وكان من أسر هؤلاء الأنبياء من كان صالحاً ، ومنهم من كان طالحاً ، ونظراً لأن القرآن الكريم نزل لبناء الإنسان الخير السوي، والذي يشيد الحضارة الندية الرخية، فقد ضم بين آياته الكثير مما يهذب الإنسان، ويقومه ويربيه تربية صحيحة سليمة قوية في جميع المجالات ، مستخدماً في ذلك وسائل كثيرة ، منها ذكره لعدد من الرسل والأنبياء الكرام مع أسرهم ، لنأخذ منها العبرة، ونستشف منها الموعظة، نتأدب ونتربى على مائدتها، ونربي غيرنا على موائد الخير والهدى والرشاد، فبين لنا حنين بعض الأنبياء إلى الولد، بل وطلبهم من ربهم ذلك، واستجابة الله عز وجل لهم...

ولما كان الأمر كذلك فقد رأت اللجنة التربوية التابعة للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم دراسة شاملة - بحيث تكون كتاباً مكوناً من عدة أجزاء - عما ورد في القرآن الكريم عن الانبياء عليهم السلام وأسرهم الذين وردت قصصهم مفصلة لاستخلاص بعض المفاهيم التربوية والأسرية ، التي يستفيد منها المسلم في حياته.